جماليات الخطاب الأخلاقي

في أدب الطفل العربي

إعداد الأستاذ الدكتور

علي عبدالوهاب مطاوع

أستاذ الأدب والنقد والمشرف على قسم الأدب والنقد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية – بنات القرين

عضو اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة

والأساتذة المساعدين بأقسام الأدب والنقد

جامعة الأزهر

جماليات الخطاب الأخلاقي
في أدب الطفل العربي

علي عبد الوهاب مطاوع
قسم الأدب والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، بنات القرين، جامعة الأزهر، الشرقية، مصر.
البريد الإلكتروني: d.alimetawea@yahoo.com

ملخص البحث:

هذه الصفحات حول الطفل العربي رعاية، وتربية، وتعليما، واهتماما بكل شئونه الفكرية، والعلمية، والمعرفية، والخيالية، والقيمية، والانطباعية، والسلوكية من خلال ما يبدع له من أدب عرف (بأدب الطفل)؛ مِمّا أصبح ذلك كله اليوم اتجاها واضحًا، وهدفا بارزًا من أهداف الكثير من مؤسساتنا التربوية، والأكاديمية، والإعلامية في وطننا العربي علي امتداد خارطته الثقافية .حتى غدا للطفل العربي ثقافته الخاصة به، والإبداع المتنوع نشيدًا، وقصيدًا، وقصًّا، وله مراكزه الدراسية، ومجالسه القومية، والعالمية التي تقوم علي رعايته، والتخطيط لحياته المستقبلية بتقديم الأفكار المختلفة التي تربطه بعصره، وبتراثه، وبوطنه، والإبداع الذي ينهض بتفكيره وسلوكه في حياته في أحضان مجتمعه، ومن قبل ومن بعد بعقيدته التي تحقق له المعايشة مع المجتمعات من حوله، والتطورات الحديثة في التربية والتعليم، والتمازج الحضاري، لاسيّما الأخلاقي الذي هو من أولويّات ديننا الحنيف، وسجّله الإبداع الطفولي الذي تبحر سطور هذا البحث في عوالمه، مِمّا أبدعه كبار مبدعي أدب الطفل في عالمنا العربي.

الكلمات المفتاحية: الخطاب، أدب الطفل، جماليات، أخلاق، العربي .

The Aesthetics of Ethical Discourse in Arabic Children's Literature

Ali Abdel Wahab Metawea.

Department of Literature and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies (Female Students), Al- Azhar University, Qurein, Sharqiya, Egypt

Email: d.alimetawea@yahoo.com

Abstract:

This research tackles the care, upbringing, and education of Arab children, addressing all aspects of their intellectual, scientific, cognitive, imaginative, moral, impressionistic, and behavioral development through the creation of literature known as “children's literature.” This has now become a clear direction and a prominent goal for many educational, academic, and media institutions across the Arab world within its cultural landscape. The Arab children now have a unique culture, with diverse creative expressions in songs, poems, and stories, as well as educational centers, national, and international councils dedicated to their care and the planning of their future. These efforts aim to present various ideas that connect the children with their era, heritage, homeland, and creative works that enhance their thinking and behavior within their society, while instilling faith in them. This faith enables them to coexist with surrounding societies and engage with modern developments in education, cultural exchange, and, especially, the ethical dimension, which is a priority of our noble religion. This study explores the world of children's

creativity in this field, as crafted by leading authors of children's literature in the Arab world.

Keywords: discourse – children’s literature - aesthetics – ethics – Arab

تقديم:

الطفل العربي وما يقدّم له من إبداع يناسب عالم الطفولة وواقعها، وما يتطلبه هذا الواقع من بثّ للقيم الأخلاقية والمضامين التربوية، في رعايته وتربيته، تنشئةً وتعليمًا واهتمامًا بكل شئونه الفكرية، والعلمية، والمعرفية والخيالية والقيمية والانطباعية والسلوكية.. أصبح ذلك كله اتجاها واضحا، وهدفا بارزًا من أهداف الكثير من مؤسساتنا التربوية والأكاديمية والإعلامية في وطننا العربي علي امتداد خارطته الثقافية. حتى غدا للطفل العربي ثقافته الخاصة به، ومراكزه الدراسية، ومجالسه القومية، والعالمية التي تقوم علي رعايته والتخطيط لحياته المستقبلية، بتقديم الأفكار المختلفة التي تربطه بعصره وبتراثه وبوطنه، ومن قبل بعقيدته التي تحقق له المعايشة مع المجتمعات من حوله، والتطورات الحديثة في التربية والتعليم والتمازج الحضاري..

لكن الواقع أثبت أن هذه المؤسسات وتلك المجالس القومية لم يحالفها التوفيق الذي كان مأمولا من روادها في سبر أغوار وأعماق الطفل، ومجاذبة عواطفه، وميوله ونوازعه الوجدانية من تفكير وشعور، وإعجاب، ودهشة، وتأمل، وحب وخوف، وتوق إلي اكتشاف الحياة من حوله، وهو ما لم يستطع تقديمه إلا عبر إبداع متميز يتسلل إلي وجدان الطفل، مما فطن إليه كثير من كتاب وأدباء العربية، فأبدعوا أدبا متميزا له فلسفته التربوية والسلوكية والترفيهية الخاصة في أشكال وأنماط أدبية عديدة؛ من أشعار، وحكايات، ومسرحيات شكلت جنسا أدبيا عرف في عصرنا (بأدب الطفل)، والذي غدا واقعا بحثيا في الدرس الأكاديمي له طلابه ومريدوه وكتابه ورواده، الأمر الذي دفعني للإسهام في مسيرته ومنظومته المتقدمة في بلادنا اليوم بهذه الصفحات التي أتمنى لها القبول من الله تعالي، وأن تعود بالفائدة علي محبّي العربية وأدبها، من خلال هذه الصفحات التي جاءت مؤكدة مهتمة بما يُكتب

للأطفال من إبداع متنوع من أناشيد وحكايات ومسرحيات، بتعبير جميل يحمل مضموناً عقليًا أو وجدانيًا يُمازجه الخيال أو الواقع التربوي الأخلاقي الذي يحقّ لنا فيه استخدام الأساليب والعبارات اللطيفة الرشيقة التي تصور المعاني السامية التي تشكل الجانب المعرفي الصحيح، ومن ثمّ السلوكي القويم لدى الطفل، مِمّا يُنعش عاطفته، ويُحرّك إرادته، ويُرضِي حاجته الوجدانية والثقافية .

وما يُكتب للأطفال اليوم من أدب؛ إنما هو إبداع عربي تربوي أصيل، لكنه يحتاج إلى وعي وإدراك أكثر من كُتّابه، واهتمامهم بتقديم أشكال ذات مضامين عميقة تُقوّي ذاكرته، وتفكّ عثرة لسانه اللغوية، ومن قبل ومن بعد تُشرّبه روح الإيمان صغيرًا ليشبّ عليها كبيرًا، وذلك في عصر بُهِر الجميع فيه بالحضارة المادية على حساب الغذاء الروحي للوجدان . ولا عذر لمن يكتب أو يهتم بأدب الطفل أو تنشئته وقصّر فيما يكتب، فلدينا تراثنا الخالد الذي سجّل الكثير من نصوص العربية حول الترقيص والغناء للأطفال عند العرب القدامى، والكثير مِمّا قدّمه الرواد حديثًا في هذا الباب، لمن أراد أن يسير على هُداهم؛ من أمثال: محمد سعيد العريان، ومحمد الهراوي، وكامل كيلاني، وأحمد شوقي في ديوان الأطفال، وعبدالتواب يوسف، وعلي الحديدي، ويعقوب الشاروني، وأحمد زلط، وغيرهم كُثر.

وقد جاء هذا الطرح العلمي من خلال: مقدمة توضّح فلسفة وجود هذا الأدب الطفولي، ومباحث ثلاثة:

المبحث الأول: مدخل إلى أدب الطفل العربي .

المبحث الثاني: أدب الطفل وأهميته للطفل والمجتمع .

المبحث الثالث: مقاربات حول فنون أدب الطفل .

راجيًا لمحبّي العربية وآدابها التعرّف على أدب إنساني رفيع، سوف يكون عونًا لهم في تربية أطفالهم، وتنشئتهم التنشئة التربوية السليمة في قابل أيامهم، وفي الوقت نفسه خدمة لمن يهتم بثقافة الطفل العربي، لا سيّما مدرسته الأولى في الحياة والتي يتأثر بها الطفل في هذه المرحلة تأثرًا كبيرًا؛ ألا وهي الأسرة؛ والله من وراء القصد، وهو– سبحانه – الموفق والمستعان .

{ وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكّلتُ وإليهِ أُنيب } هود: من الآية (٨٨).

المبحث الأول

مدخل إلى أدب الطفل العربي

قُدّر لي أن أُلِمّ بالكثير من الإبداع العربي الذي يقدم اليوم للطفل العربي في كثير من الأرض العربية، وبخاصة ما يُدرس له في باب (أدب الطفل وثقافته)، وذلك بعد أن أسند لي تدريس مادة (أدب الأطفال) في جامعة حائل بالمملكة العربية السعودية، بداية من العام ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م، وكنت حريصًا وأنا أقف على العتبات الأولي للدّرس الأدبي الطفولي، على التفاعل والاندماج والمعايشة مع ما يقدم للطفل العربي في مرحلة التعليم الابتدائي في وطننا العربي من إبداع أدبي، متنوع الرؤى والأفكار، والمضامين والأشكال، آملاً أن تُؤتي الدراسة أُكلها وثمارها، والوقوف على طبيعة هذا الإبداع، وثراء ونضج وسمو تجاربه التي يتلقاها النشءُ في هذه المرحلة الحرجة من عمر الإنسان؛ مرحلة الطفولة، والتي يحتاج فيها الطفل أشد ما يحتاجه إلى رعاية فكرية وتربوية ونفسية، تسعد روحه ووجدانه أكثر من احتياجه إلى الأمومة الحانية والرعاية الاجتماعية العادلة .

ومعلوم أن هذه السن من أهم مراحل الحياة الإنسانية، بل تُعد من أخطر مراحل الإنسان وأهميتها، حيث تتميز عن غيرها بصفات وخصائص واستعدادات، وهي أساس لمراحل الحياة المقبلة، واسمى من ذلك أنّ فيها جذور لمنابت التفتّح الإنساني: ففيها تتفتق مواهبه، وتبرز مؤهلاته، وتنمو مداركه، وتظهر مشاعره، وتتبين إحساساته واتجاهاته نحو الخير والشر، وفيها تأخذ شخصيته بالبناء والتكوين، لتصبح فيما بعد متميزة عن غيرها من الشخصيات الأخرى[١]. ولا يتأتي ذلك إلا بالتربية الحقّة للطفل، والتي تهدف

(١)أدب الأطفال أهدافه وسماته: محمد حسن بريغش، ص ١٤ بتصرف.

إلى " الأخذ بيد النشء إلى أفضل الطرق لتنميتهم جسدياً وعاطفياً وعقلياً واجتماعياً، ومعرفة ومهارة "(١).

ولا عجب في ذلك (فالطفل أرض صالحة للاستنبات، فكل ما يغرس فيها من مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات، وكل ما يبذر فيها من بذور الشر والفساد أو الغي والضلال يؤتي أكله في مستقبل حياة الطفل ولذلك فهو يكتسب من بيئته العادات السارة والضارة، ويأخذ السبل المستقيمة، أو المنحرفة(٢)، مما يجعلنا نقف أمام تنشئته وقفات طويلة لرسم خطى التربية السليمة لحياة سوية يعلم من خلالها كيف يعيش المشاعر الصادقة، كيف يسكن الجمال من حوله ويتذوقه ؟،كيف يكون سعيدًا في مجتمعه ؟، وهو ما تنبّه إليه " روسو" وهو يرسم خطى الفكر السليم والحياة السوية، والمشاعر الصادقة للأطفال، موضحاً الغاية الرئيسة، والغرض الأساسي من تربية الطفل، وذلك في معرض حديثه عن طفله، حيث يقول: " إن الغرض الأساسي من تربيته هو أن أعلمه كيف يشعر، ويحب الجمال في أشكاله، وأن أرسّخ عواطفه وأذواقه، وأن أمنع شهواته من النزول إلى الخبيث والمرذول، فإذا تم ذلك، وجد طريقه إلى السعادة مُمَهّدًا "(٣).

ولم تكن هذه الأصول التربوية ببعيدة عن الفكر العربي القديم؛ فقد كان العربي حريصاً على تكوين طفله في مراحل عمره الأولى تكويناً عربياً أصيلاً، يضمن له التحلي بالفصاحة والبلاغة، والشجاعة، والإقدام، والصبر والجلد، والجود والعطاء وكلّ ما يرسّخ عواطفه، وأذواقه، وبعصم شهواته من الانزلاق إلى هاوية الخبيث، ويحيا في سعادة وانسجام وهناءة بال وعطاء

(١) المرشد التربوي لمعلمات رياض الأطفال بدول الخليج العربي: ص٣٦ وأدب الأطفال أهدافه وسماته: ص٢٥.
(٢) الطفل المثالي في الإسلام: أحمد الخطيب ص ١٧.
(٣) أدب الأطفال في ضوء الإسلام: د نجيب كيلاني ص٢٠.

لاسيما بعد تشبعه بأسس هذه التربية الصحيحة التي استقاها من منابعها الأصيلة في البادية ــ حيث الصحراء، والعزة والأنفة، وغير ذلك من القيم التي تسعده وتفيده في مواصلة حياته مع قومه بآفاقها الرحبة التي تنطلق برؤاه النفسية، وتوسع من مداركه، وكذلك حياتها الخشنة القاسية التي تمده بالصلابة، وقوة التحمل، وبطونها العربية الأصيلة التي ينهل من أفواه ثقاتها مفردات اللغة العربية الصافية .. تماماً كما فعل بنو هاشم برسولنا (صلى الله عليه وسلم)، حينما أرسلوه إلى البادية في مطلع حياته –شأن أطفال العرب آنذاك –، ليتشبع بقيمها وعاداتها، وأسس حياتها، وينهل من مشارب فصاحتها وبلاغتها، ويتلقى فيها قيم الصبر، والشجاعة، والجرأة، ويتلقى اللغة صافية من الشوائب واللكنات والتحريف . ذلك أنّ البادية كانت في ذلك الوقت هي أول مدرسة يتلقى فيها الطفل ما يفيده: نفسيًا، وبدنيًا، وعقليًا، واجتماعيًا، ويعود الطفل من بعثته تلك في البادية – حسب تعبير الدكتور نجيب الكيلاني – بعد أن يكون قد تعلّم على أصولها، وحفظ قَدْرًا من أشعارها، وقصصها، ومغازيها، وتسلّح بالكثير من قيمها، وتقاليدها، وأنسابها .

وحسبنا أن نطالع ما كانت ترقّص به الشيماء(رضي الله عنها) [1] أخاها من الرضاعة؛ سيدنا محمد (صلّى الله عليه وسلّم) وهو في المهد، حيث كانت تُرقِّصه بقولها:

---

(١) الشيماء، ويقال: (الشَّمَّاء) بنت الحارث بن عبد العُزّى السعدي، وقيل اسمها حذافة، وغلب عليها اسم الشيماء، من بني سعد بن بكر من هوازن، وهي أُخت النبي (صلّى الله عليه وسلّم) من الرضاع، وهي ابنة حليمة السعدية، وكانت تحتضن النبي (صلّى الله عليه وسلّم) مع أمها – (والحاضن والحاضنة: الموكَّلان بالصَّبي، يحفظانه ويربيانه) –، وكانت تكبر النبي (صلّى الله عليه وسلّم) في السن، توفيت بعد سنة (٨ هــ) أي بعد (٦٣٠ م)، انظر جمهرة الأنساب: لابن حزم، ص ٢٥٣، والأعلام: لخير الدين الزركلي، ١٨٤/٣.

هَذَا أَخٌ لِي لَمْ تَلِدْهُ أُمِّي * ولَيْسَ مِنْ نَسْلِ أَبِي وعَمِّي**

فَأَنْمِهِ[١]اللَّهُمَّ فِيمَا تُنْمِي[٢].

وقد ذكر محمد بن معلى الأزدي في كتابه " الترقيص " قال: كانت الشَّيمَاء (رضي الله عنها) تُرقِّص النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) وهو صَغير، وتغنى له[٣]:

يا رَبَّنَــا أَبْــق لَنَــا مُحَمَّــدًا حَتّى أَرَاهُ يَافِعًا وَأَمْــــرَدًا[٤]

ثُمّ أَراهُ سَــــيِّــدًا مُــــسَوَّدا واكْبِتْ أَعَادِيه مَعًا وَالحُسَّدَا[٥]

وَاعْــــطِهِ عِــــزًّا يَــــدُومُ أَبَــــدًا

والحقيقة أنّ العرب قد تنبهوا من قديم الزمان إلى تربية أطفالهم، واهتموا بأشياء معيّنة في تربيتهم، من ذلك: ما يقوله ابن سينا في أرجوزته في الطبّ، التي بلغت (١٣٢٦) بيتًا متحدثًا عن الآداب مع الأطفال، وما يجب أن يراعيه الكبار في معاملاتهم، والتي يقول فيها:

والحيّ يختلفون في الأسنان * كلامنا منه على الإنـــسان**

حرارةُ الشُّبان والأطفـــال * مزاجها مضطرب الأهـــوال**

لكنّمـــا الشـــبّان لليبوســـة * والطفلُ ذو رطوبة محسوسة**

ومن هذه النصائح في تربية الأولاد الصغار (الأطفال):

---

(١) فأنْمِهِ: النَّماءُ: الزيادةُ نَمَى يَنْمِي نَمْيًا ونَمَاءً: زادَ وكَثُر وأنْمَاهُ الله إنْمَاءً.

(٢) الترقيص والغنَاء للأطفال عند العرب: أحمد عبدالتواب عوض، ط دار الفضيلة بالقاهرة، ص ٢٤.

(٣) المرجع السابق: ص ٢٥.

(٤) أمردا: يقال: غلام أمرد: إذا (طَرَّ شاربه) أي: نَبَتَ شاربه.

(٥) اكْبِتْ: يقال: كبته: إذا غاظه وأذلَّه وأخزاه.

الزمـــهُ إن أردتَ أن ينامـــا * مهدًا وطيئًا يُـــردِ الظّلامـــا**
الزمهُ في يقظتـــه الضـــياء * كيما يرى النجوم والســـماء**
كثّر لـــه الألـــوان بالنهـــار * لكي تدربه علـــى الإبصـــار**
ناغِهِ بالأصوات فـــي تعلّـــم * كيما تُدرِّبه على التّـــكَلُّمِ(١)**

ومنذ أشرقت شمس الإسلام على الدنيا وهو يعنى بالطفل وتثقيفه وتأديبه بالأدب الرفيع. والنصوص في هذا الجانب التربوي أكثر من أن تُحصى أو تُعد، ولعل أروع النماذج الرائدة الموجهة لأدب الطفل وتأديبه، وتثقيفه بثقافة حياتية شاملة، ما جاء في سورة لقمان من قول الله تعالى، على لسان لقمان وهو يؤدب ابنه بأدب علوي إلهي .. ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ لقمان: (١٣-١٩) .إنها ثقافة سامية .. راقية .. حانية، وأدب رفيع ... رقيق .. شفيف، وتربية وجدانية روحانية .. تنتج – لا شك – للمجتمع شخصية إسلامية متكاملة تصنع الحياة الآمنة، وتقيم المجتمعات المؤمنة السوية، وتزدان بها الأمم وتسمو، تصديقاً لكلام رب العالمين ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ﴾ الكهف: من الآية (٤٦) .

(١) الترقيص والغناء للأطفال عند العرب: أحمد عبدالتواب عوض، ص ١٢.

وثمة كنوز ثمينة، وآثار عديدة جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه رضوان الله تعالى عليهم، والسلف الصالح ومن سلك هذا الطريق التربوي المميز؛ جاءت كلها لتؤصل منهجاً تربوياً خالداً يقدم صورة مثلي لأطفالنا عبر العصور، ولنقف عند بعض ملامح هذه الصورة التي تؤكد حرص الإسلام ونبيه وصحبه ومفكريه على تقديم الأنموذج الأخلاقي الرائد لطفل الأمة .

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: كنت خلف النبي (صلى الله عليه وسلم) يوماً، فقال: " يا غُلامُ إنِّي أعلِّمُكَ كلِماتٍ، احفَظِ اللَّهَ يحفَظكَ، احفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تجاهَكَ، إذا سأَلتَ فاسأَلِ اللَّهَ، وإذا استعَنتَ فاستَعِن باللَّهِ، واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت علَى أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ لَكَ، ولو اجتَمَعوا على أن يضرُّوكَ بشَيءٍ لم يَضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ عليكَ، رُفِعَتِ الأقلامُ وجفَّتِ الصُّحفُ "(١).

وفي رواية غير الترمذي [رواية الإمام أحمد]: ((احفظ الله تجده أمامك، تعرَّفْ إلى الله في الرخاء يعرفك فـــي الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يُسرًا "(٢). وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة، التي لا تحصى، والتي اهتمت بالطفل .

ومن حرص النبي (صلّى الله عليه وسلّم) بتنشئة الأطفال تنشئة إسلامية راسخة، ما رواه صغار الصحابة وفهموه جيدًا – وهو كثير أقوم بجمعه الآن بعون من الله – ووقر في قلوبهم وهم في مرحلة الطفولة، من مثل ما روي عن سبط رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)؛ الحسنِ بنِ عليٍّ (رضيَ الله

(١) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح . رقم (٢٥١٦).
(٢) للمزيد يراجع هنا: شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد، ص ١٢ ــ ١٢١ مكتبة الرشد – السعودية ١٤٢٤هـ –٢٠٠٣م.

عنْهما)، أنه قال: "حفِظْتُ مِنْ رسولِ الله (صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ) كلماتٍ علمنيهنَّ أقولُهُنَّ عندَ القنوتِ. علَّمَني رسولُ اللهِ (صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ) كلِماتٍ أقولُهُنَّ في قنوتِ الوِتْرِ: اللهم اهدني فيمَنْ هَدَيْتَ، وعافِني فيمَنْ عافَيْتَ، وتولَّني فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وبارِكْ لي فيما أَعْطَيْتَ، وقِنِي شرَّ ما قضَيْتَ فإنَّكَ تَقْضِي ولَا يُقْضَى علَيْكَ، وإِنَّهُ لا يَذِلُّ مَنْ واليْتَ، تباركْتَ ربنا وتعالَيْتَ"(١).

وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب نراه يحرص حرصاً شديداً على ترسيخ أسس تربية الطفل الصحيحة، مؤكداً ضرورة العناية به في هذه السن فيقول: "علموا أولادكم السباحة والفروسية، وارووهم ما سار من المثل وحسن من الشعر"(٢) وهي وصية تحدد سمات الشخصية التي يريدها الإسلام لأبنائه من: بطولة وعزة ووعي بتراثه، وأخبار أجداده، وإلمام بمفردات اللغة الشاعرة للارتقاء بالذوق والإحساس لدى أبناء الأمة .

وقال ابن التوأم الرّقاشي: علّم ابنك الحساب قبل الكتاب، فإنّ الحساب أكسب من الكتاب، ومؤونة تعلمه أيسر، ووجوه منافعه أكثر .وكان يُقال: لا تعلموا بناتكم الكتاب، ولا تروهنّ الشعر، وعلموهن القرآن، ومن القرآن سورة النور. وكان ابن التوأم الرّقاشي يقول: من تمام ما يجب على الآباء من حفظ الأبناء أن يعلّموهم الكتاب والحساب والسباحة . وأوصى بعض العلماء ابنه فقال: أوصيك بتقوى الله، وليسعك بيتك، وأملك عليك لسانك، وابك على خطيئتك(٣)، وهذا لاشك إنما هو جماع الأخلاق الحميدة التي لابد أن ينشّأ عليها الطفل، ويربّى على ممارستها مع من حوله .

---

(١) أخرجه أبوداود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة، وأحمد باختلاف يسير، وابن خزيمة، واللفظ له.

(٢) أدب الأطفال في ضوء الإسلام: د/ نجيب الكيلاني ص ٢٦.

(٣) البيان والتبيين: للجاحظ، تحقيق: فوزي عطوي، نقلًا عن: حول أدب الأطفال: د. مصطفى الصاوي الجويني، ص١٢٨، ١٣٠.

إنّ قضية الأخلاق لابد من معالجتها من جذرها الإنساني الروحي مع الطفل المسلم الذي لابد من تربيته التربية الإسلامية الطاهرة، والتي عرّفها القرطبي بأنها التنشئة، وعرّفها الشوكاني في فتح القدير: بأنها إصلاح الصغير في جميع أحواله، فقال في تفسير قول الله تعالى { ...وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ...] آل عمران:(٣٧) هو مجاز عن التربية الحسنة العائدة على مريم بما يصلحها في جميع أحوالها "، حيث جعلها شكلا مليحا، ومنظرًا بهيجًا، ويسّر لها أسباب القبول، وقَرنَها بالصالحين من عباده، تتعلم منهم الخير والعلم والدين .وعرفها النووي في شرحه في صحيح مسلم، أنّ من باب التربية تأديب الوالد لولده، وتعليمه ما يحتاج إليه من وظائف الدين، وقال: وهذا التعليم واجب على الأب وسائر الأولياء قبل بلوغ الصبيّ والصبيّة ..

وها هو ذا هشام بن عبدالملك أحد خلفاء بني أمية يسير في هذا الطريق التربوي مؤكداً صلاحه لمن سيخلفه في الخلافة .. فيقول لمعلم ولده: "وأول ما أوصيك به، أن تأخذه بكتاب الله، ثم أروه من الشعر أحسنه، ثم تخلل به في أحياء العرب، فخذ من صالح شعرهم، وبصّر بطرف من الحلال والحرام، والخطب والمغازي"(١). وهذه أعرابية يسألها المفضل بن زيد عن ولدها حينما رآه فأعجب بمنظره فقالت له أمه: " إذا أتم خمس سنوات أسلمته إلي المؤدب فحفّظه القرآن فتلاه، وعلّمه الشعر فرواه، ورغّبَه في مفاخر قومه، وطلب مآثر آبائه فتمرس وتفرس، ولبس السلاح، ومشى بين بيوت الحي، وأصغي إلى صوت الصارخ.." (٢).

ولا غرابة في هذا الاهتمام بالأطفال خاصة وأن "الصبي – كما يقول الإمام الغزالي: " أمانة عند والديه. وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة، خالية

(١)أدب الأطفال في ضوء الإسلام: د . نجيب الكيلاني، ص ٢٦.
(٢)حقوق الطفل في المملكة العربية السعودية: عبدالمحسن بن عبدالكريم البكر، ص ٩٨.

من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما ينقش، ومائل لكل ما يمال إليه، فإن عُوّر الخير وعُلّمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة "[١].

من هنا قال ابن القيّم عن أهمية هذه التربية الدينية في مرحلة التنشئة المبكرة للصغار: إنّ الحاضن حريص على تربية الطفل على دينه، بأن ينشّأ عليه، ويتربّى عليه، فيصعب بعد كبره وعقله انتقاله عنه، وقد يغيّر عن فطرة الله التي فُطِر عليها فلا يراجعها أبدًا ... بل وجعل ابن القيم عناية الأم بطفلها من أنواع التربية فقال في حق تقديم الأم على غيرها في العناية بصغيرها: " فإن الأم إنّما قدّمت في حال الصغر لحاجة الولد إلى التربية والحمل، والرضاع، وإعداده، وهي أمور لا تتهيّأ لغير النساء "[٢]، ذلك أنه مع بداية الصورة الفطرية الأولى للحياة الاجتماعية البشرية، وتميّز الوحدة الأُسرية الأولى (أب – أم – طفل) على حدّ تعبير الشاعر الدكتور أنس داود – كان عبء الصغير من نصيب " المرأة / الأم " .. التي حملته في أحشائها قبل مجيئه إلى الوجود، وشعرت به وهو يضطرم حياة، ويفرض وجوده قبل أن يرى نور هذه الدنيا، ومن ثمّ، وبعد أن رأته بشرًا سويًا، في أمس الحاجة إلى الكفالة والرعاية، بداية بأناشيد فطرية بسيطة المعاني، بسيطة الإيقاع تعتمد على الأصوات المتكررة، والصفير اللافت لنظر الطفل، محاولة للاستيلاء على مشاعره وإيقاظ حواسّه، وإلهائه عن البكاء الذي لا تدري له سببًا[٣] .

ولا شكّ أن من أجل هذا، قد جاء اهتمام النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) بالأم في حديثه الذي رواه أبو هريرة (رضي الله عنه) وصحّحه البخاري ومسلم،

---

(١) في أدب الأطفال: د. علي الحديدي، ص ٢٣٩، وما قبلها.

(٢) حقوقا الإنسان في الإسلام: د. راوية أحمد عبدالكريم، ط ٧ مكتبة دار الزمان، المدينة المنورة، السعودية، ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م، من ص ٢٠٤ وما بعدها.

(٣) أدب الأطفال في البدء .. كانت الأنشودة: د. أنس داود، ط دار المعارف، القاهرة ١٩٩٣م، ص ٥ بتصرف.

"جَاءَ رَجُلٌ إلى رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ)، فَقالَ: مَن أَحَقُّ النَّاسِ بحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قالَ: أُمُّكَ قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: ثُمَّ أُمُّكَ قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: ثُمَّ أُمُّكَ قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: ثُمَّ أَبُوكَ "[١]، فالأمُّ هي مَحلُّ البرِّ والإكرام، وهي رَمْزُ التَّضحيةِ والفِداءِ والطُّهْرِ والنَّقاءِ، وهي الأصلُ الَّذي يَشرُفُ به الولَدُ، وأحَقُّ النَّاسِ بصُحبتِه، ويَليها الأبُ في حقِّ البرِّ والصُّحبةِ، وقد أكَّد (صلّى الله عليه وسلّم) حقَّها في حُسنِ المُعاملةِ ثَلاثَ مرَّاتٍ؛ بَيانًا لفضلِها على سائرِ الأقاربِ دونَ استثناءٍ، فكرَّر (صلَّى اللهُ عليه وسلَّم) حقَّ الأمِّ ثلاثًا، وذكَر حقَّ الأبِ مرَّةً واحدةً، وليس ذلك تَقليلًا مِن حقِّ الأبِ، وإنَّما هو تأكيدٌ على عِظَمِ حقِّ الأمِّ؛ ولعلَّ ذلك لكثرةِ أفضالِها على ولدِها، وكثرةِ ما تحمَّلَتْه مِن المتاعبِ الجِسميةِ والنَّفسيَّةِ أثناءَ حمْلِها به، ووضْعِها وإرضاعِها له، وخِدمتِها وشَفقتِها عليه، وهذه الشَّفقةُ قد تُطمِعُ وَلَدَها فيَتهاونُ في بِرِّها؛ ولذا أكَّدَ رسولُ اللهِ (صلَّى اللهُ عليه وسلَّم) بِرَّ الأمِّ مِرارًا. حقًا.. إنها ثقافة إسلامية صافية روحية لا بدّ من تنميتها وإذكائها لدى الأبناء، وغرسها في نفوسهم منذ الصغر، لابد من وعيهم بالعقيدة الصحيحة الصافية السمحة التي تتمثل في الخوف من الله ومراقبته في السر والعلن، ويتبع ذلك تعليمهم فضائل الأخلاق، وآداب الاستئذان، والاحترام، وحب التعلّم، وحبّ الوطن، وحب أصحابه البررة، ومن قبل ومن بعد حبّ والديه وتوقيرهما، وكلها قيم أخلاقية نبيلة تغيّبت، وحين تُغَيّب القيم، تغيب العدالة، فيمون الأمل، فتسوء الأخلاق، فتموت القيم، فنعيش الاضمحلال، وصدق أمير الشعراء أحمد شوقي حينما قال[٢]:

صلاحُ أمْرِكَ لِلأخْلَاق مَرْجِعهُ * فَقوّم النفسَ بالأخلاق تَستقِمِ**

إنّ الخطاب الأخلاقي الذي تقدمه الأمم اليوم من خلال ما يُكتب للطفل من إبداع عربي أصيل، إنما هو حقٌّ أصيل من حقوقه، وهذا الإبداع لا يقل أهمية

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٩٧١)، ومسلم في صحيحه (٢٥٤٨).
(٢) الشوقيات: شعر أحمد شوقي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر ١٩٨٣م، ج١ ص١٩٤.

عن التربية الوجدانية التي تربط الطفل منذ ولادته بأصول الإيمان، وتعويده منذ تفهمه أركان الإسلام، وتربيته وتنشئته على هذه المفاهيم من التربية الإيمانية، وعلى هذه الأسس من التعاليم الإسلامية، حتى يرتبط بالإسلام عقيدة وعبادة، ويتصل بها منهاجًا ونظامًا، فلا يعرف بعد هذا التوجيه والتربية سِوى الإسلام دينًا، وسِوى القرآن منهاجًا، وسِوى الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) قائدًا وقدوة، وهو ما وجدناه في كثير من النصوص التي تتعلق بمرحلة الطفولة، وتعنى بالأطفال وتربيتهم تربية فكرية، روحية وجدانية، تشعره بذاته ووجوده ورسالته التي تنتظره حينما يشتد عوده، فيكون رجلا بمعنى الكلمة.. يسعد به مجتمعه، ويفتخر به قومه، ويحمى الحمى، ويصون العرض والأرض، ويذود عن حرماته ونفسه ووطنه، مثل هذه الرؤى التي كتبها الدكتور (إبراهيم أبوعباة) في حبل الله المتين، هدايتنا إلى طريق الله المستقيم[1]:

قُرآنُنَـــا نُـــورٌ لنـــا * فَهْـــوَ يُضِـــيئُ دَربَنَـــا**

قُرآنُـــنَا فـــخرٌ لنـــا * وفيـــه نَلْقَـــى عِزّنَـــا**

قُرآنُنَـــا فيـــه الهُـــدى * أرواحُنَـــا لـــهُ فِـــدى**

ومن مثل هذا النشيد الذي وضح للطفل أنّ الله سبحانه وتعالى بذاته مصدر الخير، والجمال، وبيده مقادير الخلائق وأعمارها، وهو متفرد " ليس يشبهه تعالى ولا يماثله شيء من مخلوقاته، لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، يقول تعالى: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ الشورى: ١١، يقول النشيد الذي يرسخ هذه القيم الإسلامية في نفس الطفل[2]:

---

(١) ديوان شدو الطفولة، وهتاف الشباب: الشاعر السعودي د. إبراهيم أبو عباه، ط ١، العبيكان، الرياض، السعودية، ص١٥.

(٢) الأناشيد المدرسية: مجموعة من الشعراء، ط١، وزارة التربية والتعليم، القاهرة، ١٩٩١م.

مَـــنْ يُنبـــتُ الأشـــجارَا *** ويُنزلُ الأمطَارا... ويَمْلكُ الأعمارَا
هـــــذا هُـــــو الإلـــــهُ *** لـــــيسَ لـــــهُ أشـــــباهُ
نَـــدْعُوهُ فـــي عُـــلاهُ *** نقـــــــــولُ: يـــــــا أَللهُ

من هنا اهتمت الدول اهتماما بالغاً بهذا المخلوق البريء؛ الطفل، اهتماماً بالغاً بداية من مراحل عمره الأولية وهو في بطن أمه جنيناً إلى أن يصل إلى عالم الرشد، بغية إعداد الإنسان السوي النافع لنفسه ومجتمعه ووطنه، حيث عنيت كثير من المؤسسات الإنسانية بالطفل منذ بدء تكوينه، فوضعت الأسس والقواعد التي يعتلى عليها البناء الإنساني الشامخ في المجتمعات؛ ذلك البناء القوى الذي لا يهزم أمام رياح المعضلات والهموم وعواصف الأزمات، ولا نجد دليلاً واضحاً جلياً على ذلك الاهتمام.

لا سيما في التعليم، من أن التعليم مثلًا في مؤسسة الأزهر التعليمية يهدف إلى غرس العقيدة الإسلامية في نفوس النشء وإكسابهم المعارف والمهارات، وتهيئتهم ليكونوا نافعين في بناء مجتمعهم محبين لوطنهم، معتزين بتاريخه وعراقته، حيث تعمل على تربية النشء وتعليمه واكتسابه المهارات المناسبة لتحقيق مشاركته الفاعلة في التنمية وبناء المجتمع المتكامل، وفي إحدى الدول العربية وقد عاصرت ذلك عن قرب؛ يتم تدريب الطفل منذ بداية حياته في المدرسة على حرية التعبير والرأي والمشاركة باتباع أسلوب الحوار كأحد الأسس التعليمية والمهمة لصقل قدرات الأطفال وفقاً للأسس التعليمية والتربوية الحديثة، والثقافة العربية الأصيلة التي تعكس قيم العصر الذي نحياه، وروح وأحاسيس الطفل، وقدراته على الفهم والتمييز والخيال، من خلال ما يقدم له من أدب طفولي يمثل وسيلة رئيسة إيجابية فاعلة؛ من وسائل تكوين العقيدة الدينية الصحيحة في نفس الطفل .

من هنا أرى، أن كل نتاج ثقافي وأدبي لا يستقي من تراثنا الإنساني القِيَمَ والأسس التربوية التي أشرت إليها آنفاً مما تعكس أحاسيس الطفل، إنما هو

نتاج لا يستحق أن ينتمي إلى ثقافة الأطفال التي تطلبها بلادنا اليوم، فالواقع الذي تعيشه الأمة يحتاج إلى أدب طفولي تربوي يحمل بجانب جماله وبلاغته وإيقاعه الرشيق – رسالة وقضية ومضموناً، لتحقيق التقدم والرقي بعُدّة المستقبل وحملة مشاعل نهضتها، بل قل يحتاج إلى إبداع نهضوي يسهم في إعداد الأجيال إعداداً صالحاً، وفي بناء جيل خلف جيل، جيل أمين على تراثه، وقيمه، وتاريخه، وحاضره، ومستقبله، وفكره، وثقافته، ولغته، جيل يتحمل الأمانة والمسئولية غداً، ويبني مستقبل أمته على أسس متينة صحيحة، الأمر الذي جذب الرائد الدكتور سعد أبو الرضا نحو التنظير بعد التقويم والتقييم لكل ما يقدم للطفل في المعاصرة؛ حيث البراءة والصفاء مع عوالم الطفولة، التي أبدع من أجلها مؤلفاته تلك:

- النصّ الأدبي للأطفال .. رؤى إسلامية.
- النصّ الأدبي للأطفال .. أهدافه ومصادره وسماتُه .. رؤية إسلامية.
- أدب الطفل التّنْمَوِي.
- اتجاهات حديثة في أدب الأطفال.
- السيرة النبوية وأدب الأطفال (وهو بحث عن جهود الأمة ورموزها في تقريبها السيرة النبوية الكريمة من خلال الشكل القصصي).

والمتأمل في الخطاب الطفولي السابق لرائدنا يدرك من عتباته الرئيسة أنه أراد أن يكون أدبًا إسلاميًا للأطفال في مواجهة التحديات العالمية، وما يُهدّدُ انتماء الطفل المسلم لأمّته وأهله ولُغته، من ارتباط الطفل العربي بشخصيات وبطولات أجنبية مثل: (توم أند جيري، وميكي ماوس) وغير ذلك مِمّا يُصَدّره الآخر للمجتمعات المسلمة، ونُقبل عليه دون وعي أو إدراك للخطر العظيم الذي أطلق عليه (حضارة التسلية القاتلة!!)، من أجل هذا لا نريد أن نمرّ على هذه العبارة (حضارة التسلية القاتلة) دون أن نؤكد دلالتها القاطعة، على أنّ رائدنا (سعد ابو الرضا) صاحب الرؤى النقدية البصيرة، والكتابات الإبداعية

المنيرة؛ لم يكن بعيدًا عن متابعة واقعه ومجتمعه، وأنّ هذه المتابعة قد تركت عنده أثرًا ليس أقلّ مِمّا تركه القُدامى الذين كتبوا للطفل، وممّا كتبه الغربيون عن الطفل وللطفل، لهذا أقلقه ذلك التقدّم في المستوى الكمّي لما يُقدّم في هذا الباب، لم يرافقه تقدّم في المستوى النوعي لأدب الطفل العربي ..

وأضم صوتي لما قاله أبو الرضا من حوار له في عدد خاص عن أدب الطفل (العدد الأربعون من مجلة الأدب الإسلامي ٢٠٠٤م): من أنّ نوعية ما يُكتب اليوم للأطفال بحاجة إلى إعادة النظر في أسسه النفسية والفنية والعلمية، وطريقة إخراجه، وكيفية طباعته، وإدراك القيم الإسلامية التي يجب أن يكشف عنها هذا الأدب، والأهداف الفكرية التي يحملها، والحاجات التي يجب أن يُشبعها، في كل مرحلة من مراحل الطفولة، وما يمكن أن يُنمّيه فيهم من مواهبَ وقُدراتٍ في هذه المراحل " . لكن الساحة العربية والإسلامية اليوم أصبحت حافلة بالكثير من المؤسسات والجهات الحكومية التي تصدر مطبوعات إبداعية متنوعة، وتُولِي غيرها اهتمامها لإنتاج أدب الطفل الإسلامي، وتسليط الضوء على كُتّابه، وإن كان أكثر هذا النتاج الذي يُزاحم حياتنا اليوم تعوزه القيمة الفنية، والذي نرى في تحقّق هذه القيمة الفنية، نجده قد افتقر إلى الالتزام بالعقيدة الإسلامية، أو التصوّر الإسلامي ..

نريدُ أدبًا طفوليًا يخط لأطفالنا في شكله ومضمونه – أجيال الأمة القادمة– طريق النجاح الحقيقي، حيث إجلال العقيدة والأخلاق، وحب العلم والمعرفة، وعشق الوطن، وتقدير رجالاته، على نحو ما رأينا من إبداع الرائد محمد الهراوي في النشيد الوطني المصري الذي نُشر في (سمير الأطفال للبنين)، والذي جاء فيه قوله[١]:

دعت مصر فلبّينا كرامـــا * ومصر لنا فلا ندع الزمامـــا**

(١) سمير الأطفال للبنين: محمد الهراوي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، دار الكتب المصرية، القاهرة، ج٣، ص٢٠.

قيامًا تحت رايـــتها قيامـــا * أمامكم العلا فامضوا أمامـــا**
لنا مجدٌ على الـــدنيا تعـــالى * بـــناه الله يوم بنى الجـــبـــالا**
وَسَـــمْـــنـــاهُ برايتنا هـــلالا * وننشرها على الدنيا سلامـــا**
لنا التـــاريخ فيّاض المعاني * لنا الأخـــلاق نرعـــاها ذماما**
لنا علم الأوائل في الزمـــان * لنـــا الأخلاق نرعـــاها ذماما**

وما نراه اليوم من إبداع طفولي لو تلقّاه النشء – بعد توشيته بالقيم الفنية والأخلاقية والوطنية – في مراحل تعليمه الأولى بمدارسنا، لتشبّع برؤى تعليمية وتربوية سامية؛ لو توافر لهذا الإبداع معلم غيور على مجتمعه وبنيه، معلم يؤمن بضرورة تكوين الطفل تكويناً تربوياً. ونفسياً وفكرياً، واجتماعياً صحيحاً انطلاقاً من مثل هذه الرؤى الإبداعية التي يجب أن يتغنى بها أطفالنا اليوم بعيدًا عن " بِسْبِسْ نَوْ يا بِسْبِسْ نَوْ "، مثل[١]:

أنَـــا لا أعـــرفُ الكَـــسَلَا * أُحِـــبُّ الجِـــدَّ والعَـــمَلَا**
وأَبْنِـــي لِلْعُـــلَا بَيْتًـــا * رَفِيـــعَ الشّـــأنِ مُكْتَمِـــلَا**
ومَـــنْ يَسْـــعَ إلـــى أمَـــلٍ * فَسَـــوفَ يُحقّـــقُ الأَمَلَـــا**

وَمِن هذا الأدب الطفولي الذي تتجلى فيه جماليات الأخلاق ما قيل عن استقبال شهر الصَّوْم في بِلادِنَا العربية، فله شوقُ خاصٌّ، وفرحَةٌ، غامِرةٌ، على نحو ما نرى في إبداع الشاعر يس الفيل الذي يقول[٢]:

نســـــتقبل الصّـــــيَام * بالحُـــبِّ كُـــلّ عَـــام**

---

(١) لغتي: كتاب الطالب، مقرر الصف الرابع الابتدائي، الفصل الثاني، ط وزارة التربية والتعليم، السعودية ٢٠١٤م، ص٦٨.

(٢) أدب الطفولة بين كامل كيلاني ومحمد الهراوي، د. أحمد زلط، ط١، دار المعارف، مصر ستة ١٩٩٤م.

وَقَبْـــــلَ أَنْ نَنَـــــام *** نَسْـــعَى إلـــى القيـــام
وَحِينَمـــــا نَعْـــــود
نَقُـــــولُ لِلْوجـــــود *** مَـــا أَجْمَـــلَ الصِّـــيَام
مـــــنَارَةُ المـــــحَبَّة *** تـــــضيء لِلأَحِـــــبَّة
نَهـــــارُهُ عِـبَـــــادَة *** وَلَـيْـلُـــــهُ سَـعـــــادَة
وَصَـــــوْمُه شـــــهادة *** بِقُـــــــــوَّةِ الإرادة
فَأَيْـــــنَما نَكُـــــون *** وَوَقْـتَمَـــــا نَكُـــــون
نَـقُـــولُ فـــي يَـــقين *** مَـــا أَجْمَـــلَ الصِّـــيام

ونصوص أخرى كثيرة نتكلم عنها بالتفصيل بعد ذلك، تتعلق بمرحلة الطفولة، وتعنى بالأطفال وتربيتهم تربية فكرية، روحية، وجدانية تشعره بذاته ووجوده ورسالته التي تنتظره حينما يشتد عوده، فيكون رجلا بمعنى الكلمة .. يسعد به مجتمعه، ويفتخر به قومه، ويحمى الحمى، ويصون العرض والأرض، ويذود عن حرماته ونفسه ووطنه . ولَعَلَّ من أشهر هذه النصوص وأقدمها، نشيد التلميذ النجار " لمحمد الهراوي" الذي يقول فيه(١):

أَنَا فـــي الصُّـــبْح تِلميـــذٌ *** وَبَعْـــدَ الظُّهْـــر نَـــجَّارُ
فَـــلي قَـــلَمٌ وَقِرطـــاسٌ *** وَإِزْمـــــيلٌ ومـــــنْشَارُ
وَعِلْمـــي إِنْ يَكُـــنْ شـــرَفًا *** فَمَا فـــي صَـــنْعَتي عَـــارُ
فَـــــلِلْعَلَمَاءِ مَرْتَبَـــــةٌ *** ولِلـصُّـنَّـــــاعِ مِـــــقْدَارُ

وكأَنّي بهذا الشاعر الكبير يخط للأَجيال الجديدة طريق النجاح الحقيقي؛ حيث العلم والمعرفة، وحيث العمل الحرفي المُشرف، فيدٌ تُمْسِك بالقلم تُعلّم، وأُخرى تبني وتُشيّد، وهذا ما يضمن لنا هويتنا العربية والإسلامية في ظل متغيرات الصورة العالمية، ويضمن وصول الطفل إلى أعلى درجات العزة،

(١) أدب الأطفال في ضوء الإسلام: د. نجيب الكيلاني، ص ٩٢.

والإخلاص لوطنه، ومن ثمّ تخلق مثل هذه النصوص في الطفل شخصًا منتميًا، محبًا، مخلصًا لوطنه، ومجتمعه، ونماذج أخرى عديدة تتوقف عندها السطور التالية بالتحليل فيما بعد، تعكس في مضمونها ورؤاها المتباينة الدور الرائد لمؤسساتنا التعليمية والتربوية في خدمة أدب الطفل وثقافته، ليس على المستوى القومي وحسب، بل على المستوى العربي، إيماناً من رجالاتها ومبدعيها بحقوق الطفل وأهميته، بعد رسوخ إيمانهم بأن أدب الطفل في عصرنا أصبح "ضرورة" من ضروريات الوجود العربي، وأداة تحقيق ذلك وتفعيله هو "التعليم" الذي يضمن لنا هويتنا العربية والإسلامية في ظل متغيرات الصورة العالمية. وشروط يجب توافرها في كاتب هذا الأدب، والتي توقف عندها كثير من منظري هذا الجنس الأدبي أمثال الدكاترة: محمد بن عبد الرحمن الربيع، أحمد زلط، محمد بسام ملص، منصور النويصر، أحمد نجيب، أحمد عبدالتواب عوض، علي الحديدي، نادية أحمد طوبا، سولاف أبو الفتح الحمراوي، محمد متولي قنديل، محمد صالح الشنطي، نجيب الكيلاني، أنس داود، حنان عبدالحميد العناني، مصطفى الصاوي الجويني، محمد حسن بريغش، عبدالتواب يوسف، وغيرهم كثر..

من هذه الشروط ما نوجزه فيما يلي:

- يشترط أن يكون كاتب أدب الطفل مهيّأً علميًا وفنيًا وفكريًا، حتى يُعين هذا الطفل بما يُبدعه له من أدبٍ يستمد أصوله من التصور الإسلامي للكون والحياة، كما يتّسع للمتغيرات والحياة بكلّ أبعادها، كي يرقى بهذا الطفل نفسيًا وفكريًا، ويُهيئه لمواجهة الحياة مواجهة سوية ..
- ثمّ إنّ كاتب أدب الطفل يجب أن يجمع بين الاتصال بالفن (الإبداع) والعلم، حتى يكون مؤهلًا لمواكبة العصر فيما يُبدع للأطفال، وبدون الفن والعلم لن يُحقق كاتب الأطفال غايته بربط أطفالنا بالعصر وتحولاته من خلال ما يكتب، فالأطفال كما يقول الدكتور على الحديدي: " في حاجة إلى كاتب

مبدع، يخرج ما يكتبه من مادة الحياة نفسها ومن مخزونها بعد أن يتفاعل معها بروحه وعواطفه. وقد يولد كاتب (أدب الطفل) ومعه الموهبة، ولكن الموهبة وحدها دون رصيد من التجارب في عالم الأطفال، ومن الخبرات والمعرفة التي تصقلها وتدربها وتشربها روح الفن، تجعل الكاتب لا نفع فيه.

- كما يجب على كاتب أدب الطفل أن ينتفع بما خلفه السابقون من تراث غنيّ، ورصيد موفور من خبرات الآخرين من حوله، بأن يكون مواكبًا لتطورات عصره، وتحولات مجتمعه الحياتية .
- لا يكفي كاتب أدب الطفل أن يكون لا معًا في مجال الكتابة للكبار كي يكون كاتب أطفال ناجح، ذلك أنه يحتاج – فوق الإحساس الفني الصادق والموهبة الخارقة – إلى لون من الممارسة والاشتراك في كل شيء متصل بحياة الطفل، حتى يعثر خياله على سر القوة التي تنمي عواطفهم، وتثير انفعالاتهم، وتبعث فيهم روح الطموح والعمل .
- ضرورة تحلّى ومعرفة كاتب أدب الطفل – إلى جانب العقل والمعرفة – بذكريات الطفولة، والخيال، والحبّ، والعاطفة، وقدر كبير من التمييز الوجداني .
- أن يتسم مبدع أدب الطفل بشيء من خفة الظل، ومرح الطفولة، وبراءتها، وأن يكون خبيرًا بعوالم الأطفال، بأن يتمثّل مثلًا شخصية الصغار الذين يكتب لهم أمام ناظريه وهو يمارس فعل الكتابة لهم، فتأتي عباراته وصوره وأساليبه مناسبة .
- كاتب أدب الطفل الناجح، يجب أن تتوفر في أعماله خاصيتان: سهولة اللغة، والصدق الفني فيما يكتب، مع المحافظة في الوقت ذاته على إشاعة المرح، والفكاهة، واللهو المباح .

- على الأديب الذي يكتب للطفل أن يعي أن مهمته شاقة وعسيرة، لأنه حين يكتب للصغار لابد أن يكون على وعي كامل بمستويات تفكيرهم في مراحل الطفولة المختلفة، وأن يكون على بيّنة بعلم نفس الطفل .
- على كاتب أدب الطفل أن يزود نفسه بالدراسات الأدبية التي تخص سيكولوجية الإبداع، وبحوث علم نفس الطفل، مزودًا من قبل ومن بعد بالأصول العامة للكتابة الأدبية، ومن ثمّ يطبق معلوماته مجتمعة على ما يكتبه للأطفال في عوالمهم المتغيّرة والمتطورة[١].

(١) للمزيد يراجع هنا: في أدب الأطفال: د. علي الحديدي، ط ٦ الأنجلو، ١٩٩٢م، ص ١٠٥، وما بعدها.

المبحث الثاني

أدب الطفل وأهميته للطفل والمجتمع

يتَّفق الكثير من التربويين وكُتَّاب أدب الطفل أن مرحلة الطفولة من أهم مراحل الحياة عند الإنسان، وأكثرها خطورة، فهي تتميز عن غيرها بصفات وخصائص واستعدادات، وهي أساس لمراحل الحياة التالية، وفيها جذور لمنابت التَفتّح الإنساني:

ففيها تتفتق مواهبُ الإنسان، وتبرز مؤهلاتُه، وتَنْمُو مداركه، وتظهر مشاعره، وتَتَبَيَّنُ إحساَساَته، وتقوى استعداداته، وتتجاوب قابلياته مع الحياة، سلباً أو إيجاباً، وتتحدد ميوله، واتجاهاته نحو الخير أو الشر، وحب الوطن والعقيدة، وفيها تأخذ شخصيتُه بالبناءِ والتكوين، لتصبح – فيما بعد – متميزة عن غيرها من الشخصيات الأخرى..

وتتميَّز طفولةُ الإنسان بأن الطفلَ في هذه المرحلة أرضُ صالحة للاستنبات، فكُلُّ مَا يُغْرس فيها من قيم ومكارم ومحاسن، وكل ما يُبذر فيها من بذور الشر والفساد، أو الغي والضلال يؤتي أكله في مستقبل حياة الطفل. من هنا كانت مطالب رعاية هذه الطفولة لا تقتصر على مجرد الغذاء والوقاية فحسب، بل تحتاج إلي رعاية عقلية ونفسية وتربوية واجتماعية، وترفيهية ترويحية، وتعليمية تتلاءَمُ مع طبيعة الإنسان بوصفه أكرمَ مخلوقاتِ الله – عز وجل – ومن هنا عُنيت البحوث والدراسات في كثير من مجالات المعرفة النظرية والتطبيقية بالطفولة وما يُقدم لها لا سيمّا الإبداع الطفولي الذي شكَّل منظومة تربوية لها أهميتها اليوم في بناء الشخصية، ولها رُوّادها الذين قدموا إبداعاً على قدر كبير من المسؤولية شكلوا به "أدباً خاصّاً عُرِف اليوم بـــ"أدب الأطفال".

- **وَأَدَبُ الطفل ..**

من أهم خبرات هذه المرحلة، مرحلة الطفولة / مرحلة بناء الشخصية – وبناء عليه فهو يدخل في صُنع الطفل ويبني شخصيته، والطفل في أثناء نموه

العقلي يَبْدَأ بالتعرف على الحياة، وأدبُ الأطفالِ أقوى سبيل يُعَرفُ الأطفال بالحياة في أبعادها الماضية والحاضرة والمستقبلية، ولأَنَّ عقل الطفل ونماءَه يحتاج إلى التنوع في الخبرات؛ جَاءَ أَدَبُ الأَطفال بأَنْواعِه المختلفة المتنوعة ليغذي عقله وخياله، ويكون وسيلة من وسائل التثقيف، وسبيلاً لتكوين العواطف السليمة الصَّادقة الوطنية والدينية، وأُسلُوباً لمعرفة الصَّواب من الخطأ، ولبناء اتجاهات سليمة وقيم إيجابية خَلاَّقة، ولهذا يُعَدُ أَدَبُ الطفل دعامة أَسَاسية في نماء الطفل وتعديل سلوكه كما قال الدكتور علي الحديد في كتابه الرائد: "في أدب الطفل" .

- **أَدَبُ الطّفْلِ إِذَنْ:**

هو كل ما يُقَدمُ للطفل من إبداع متميز بمواصفات خاصّة، من شأنها توجيه شخصية الطفل وسلوكه نفسيّاً وتربويّاً بطريقة تعليمية مباشرةٍ ما أمكن ذلك في صورة عبارات رشيقة، جميلة بليغة لها تأثيرها الوجداني والفكري معاً، وهنا كما نرى يُبْرزُ الجانب التربوي التعليمي في التعريف السَّابق ما يجبْ أن يمتاز به أَدَبُ الطفل من وُضُوح وتدرج في نظمه، وفي مستواه اللغوي وِفْق مراحل نمو الطفل.

- **كما يُبرز التعريفُ أيضاً أهم الفروق الجوهرية بين ما يُقدم له كطفل، وبين ما يُقدَّم للكبار من إبداع .. ومنها:**

١) أَدب الطفل لابُد أن يكونَ واضحاً قريباً من الأفهام، مناسبًا لمراحل نُموه المختلفة، مُدركاً لأِهدافه التنموية والعاطفية والنفسية والفكرية والتربوية واللغوية والجمالية.

٢) أَدب الطفل يهدفُ إلى إرساء دعائِمَ أَسَاسيةٍ تتعلَّقُ بفهم الطفل لبيئته، ووسطه الاجتماعي، وتَشرُّب القيم الدينية والتراثية وإدراك مظاهر الخصوصية لمجتمعه وتراثه، وقبل ذلك كله عقيدته التي أغفلها كثير من كُتَاب أدب الطفل.

٣) وأَدَبُ الكبار وَإن كان مَوصُول الأسباب بالأهداف السابقة من: [تَفَهُّم للبيئة، والوسط الاجتماعي، وتَشَرُّب القيم الدينية والتراثية، وَإدراك مظاهر الخصوصية لمجتمعه وتراثه. وقبل ذلك كله عقيدته – إلاَّ أنه يُحلّقُ في آفاقٍ بعيدة أكثر رحابة وعُمقًا وأَقل وضوحًا ومباشرة مما نراه في أدب الطفل.

٤) تَفَاوُت مستوى الأداء اللُّغوي بين الأَدَبَيْن (أَدَبُ الطفل، وأَدَبُ الكبار).

فأَدَبُ الطفل إذن يحتاج إلى خبرة دقيقة بثقافة الطفل ونَفْسيَّته، وهو ما يفرضُ على كاتب أدب الطفل قيوداً لا يفرضها أدبُ الكبار الذي يُبدع فيه الإنسان، ويتفَنَّنُ في الصياغة، وفخامة وجزالة ألفاظ ما يُقدم مع عمق جمله الأدبية.. في الوقت الذي يحتاج فيه كاتب أَدب الطفل إلى كلمات بسيطة، وصياغة سهلةٍ واضحة، وأساليب متكررة تُربى ملكة التذوق لدى الطفل، ويُدرك من خلالها مظاهر خصوصية مجتمعه .. كما نرى في هذا النص الذي يُقدمه كاتبه إلى الطفل الذي يعيش بين أحضان نهر النيل على سبيل المثال.. ذلك النهر العظيم الذي يُعَدُّ من أعظم أنهار الدنيا، ومْنِ أكثرها طولاً، وأَعذبها ماءً. فله فضل كبير على المصريين، فعلى ضفافه تفيضُ جَنَاتُه بالخيرات، وعلى امتداده نشأت أعظمُ الحضارات، ومن مائه الغزير العذب نَروي ونرتوي، ومن خيره الوفير نَزرَعُ ونأكل.. فيقول فيه أمير الشعراء أحمد شوقي، مصوراً جماله في لغة مباشرة سهلة واضحة لا عمق في فكرتها، ولا امتداد في تجربتها مما يناسب الطفل(١):

النّيلُ العَـذْبُ هُـو الكَـوْثَرْ * وَالجَنَّـةُ شـاطِئُه الأَخْضَـرْ**
وَقَبْـــلَ أَنْ نَنَـــام * نَسْـــعَى إلـــى القيـــام**
رَيَّـانُ الصَّـفْحَةَ وَالمَنْظـر * مَا أَبْهىَ الخُلْدَ وَمَـا أَنْضَـرْ**
البَحـرُ الفَيَّـاضُ القُـدْسُ * السَّاقي النَّاس وَمَا غَرَسُـوا**

(١) الشوقيات: شعر أحمد شوقي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر ١٩٨٣م، ج٤ ص١٩٥.

وَهُوَ المِنْــوَالُ لِمَــا لبسُــوا * وَالمُــنْعِمُ بــالقُطْن الأَنْــوَرْ**

حَبَشــيُّ اللــوْنِ كَجيرَتِــه * مِــنْ مَنْبَعِــهِ وَبُحَيْرَتِــهِ**

صَــبغَ الشَّــطْيْن بِسُــمْرَتِهِ * لوْنًــا كَالمِســكِ وكَــالعنبَرْ**

٥) اقتران المادة المكتوبة في أَدَبِ الأَطفال بالرُّسُوم التشكيلية والصُّور والأَشكال الزخرفية التي تُجَسِم وتُشَخصُ له ما يُكتب من أدب تربوي فكري مُحّبب إلى النفس. بينما لا يقترنُ أدب الكبار بمثل هذه الصور والرسوم.

٦) تحتاجُ الكتابةُ للأطفال إلى موهبة خاصة، بل إلى دراية وإلمام كبير بالدراسات التي تَتَعَمَّقُ في أُصول التربية وعلم النفس وَما يتعلقُ بنمو الطفل، وما يَختصُّ بالجانب الديني والوطني والاجتماعي والإنساني والطبيعي مِمَّا يُحِيطُ بعوالم الأطفال.

٧) إذا كان الأَدبُ يُنظر إليه على أنه تَعبيرُ عن تجربةٍ أَدبيةٍ، إلاَّ أَنَّ التجربة نراها تختلف عند الأطفال عنها عند الكبار (ذات الآفاق الواسعة الممتدة في جوانب الحياة واتجاهاتها)، فالتجربة في أدب الأطفال تقتصر على حيزّ محدود ينحصر فيما يُسمى بعالم الطفل، وهو عالم حِسّي في الغالب، ولا يحتل الجانب المعنوي منه إلاَّ نطاقًا ضَيّقًا.

٨) والفرقُ بين الأَدبين (أدب الأطفال – وأدب الكبار) لا يقتصر على ما سبق، بل يدخل في إطار النوع الأدبي المناسب لِكُلٍّ..

فإذَا كانت القصيدة أو الرواية أو المسرحية بالمفهوم المعروف تَتَّجِهُ إلى التعبير عن العواطف والانفعالات والأفكار في موقف مُعَيّن مثير، أو تُعَبّر عن رؤية خاصةٍ ذات أبعاد شمولية وعُمق وجداني وفلسفي ومعنوي.. فإن الأُنشودة هي اللون المناسب للأطفال على نحو ما نراه في هذه الأنشودة "عَلَمُ بلادِي"(١):

---

(١) لُغتي: للصف السادس الابتدائي، الفصل الدراسي الأول، كتاب الطالب، ط وزارة التربية والتعليم، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٥هـ/ ١٤٣٦هـ – ٢٠١٤م/ ٢٠١٥م.

عَلَـــــــمُ بِـــــــلاَدِي *** عَلَـــــــمٌ أَخْضَـــــــرْ
فِيـــــــهِ شَـــــــهَادَةُ *** حَـــــــقٍّ تُذْكَـــــــرْ
فِيـــــــهِ الحـــــــقُّ *** فِيـــــــه العِـــــــزَّةُ
فِيـــــــه السَّـــــــيْفُ *** رَمْـــــــزُ القُـــــــوَّةْ
عَلَـــــــمُ بِـــــــلاَدِي *** عَلَـــــــمُ أَخْضَـــــــرْ

فالأنشودة السَّابقة في العلم السعودي الذي يحمل شهادة التوحيد، كما ترى تختلف لا شك في خصائصها الفنيَّة اختلافاً بيّنًا عن القصيدة، والقصة، والرواية، والمسرحية، لا سيمّا في اعتمادها على الأداء الصَّوتي والتلحين، وتَحرّي السهولة فيها، وصلاحها للإلقاء الجماعي، وَعدَّها أداةً تربويةً وطنيةً، إصلاحية للطفل، تُعالج قضية حب الوطن؛ الانتماء الحقيقي، أو تُعالج التردد والخجل عند الطفل، وأشياء كثيرة جداً في النطق والمحادثة بتلقائية، وتَمسُّك بالمُثل العلي، والصفات النبيلة، من القيم الإسلامية التي تُؤكد علاقة الطفل الحقيقية بوطنه/بيته/ ومجتمعه المحيط به من الجدّ، والأم، والأب، والأخت، والجار، كما رأينا في مثل نشيد "أُحِبُّ بَيْتَنَا". ذلك النشيد الذي يغرس قيمًا في الطفل نحن في أمَسّ الحاجة إليها في حاضرنا، حيث حب الوطن والمحافظة علي الأرض، وعلي سلامة المجتمع من حولنا، وعلي احترام الجار وتقديره، كما أوصي رسولنا الكريم بذلك.. حيث يقول فيه الشاعر[١]:

أَنَـــــا أُحِـــــبُّ بَيْتَنَـــــا *** لأَنَّ فيـــــه جَـــــدَّنَا
وَفيـــــهِ أُمِّـــــي وَأَب *** وَفِيـــــهِ أُخْتـــــي وَأَنْـــــا
وَحَوْلَـــــهُ حَديقَـــــةٌ *** أَشْـــــجَارُهَا تُظِلُّنـــــاَ

(١) لُغتي: للصف الثاني الابتدائي، الفصل الدراسي الأول، كتاب الطالب، ط وزارة التربية والتعليم، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٥هـ / ١٤٣٦هـ - ٢٠١٣ / ٢٠١٤م.

وَجارُنَـــــا نُعـــــزُّهُ *** كَأَنَّـــــهُ أَخُ لَنَـــــا
يَـــا بَيْتَنَـــا يَـــا بَيْتَنَـــا *** فِيـــكَ السَّـــعادّةُ وَالهَنَـــا

هذا في الوقت الذي تتقيد فيه القصيدة التي تُقَدّم للكبار بالأوزان الشعرية الموروثة السائدة، والتي لا يستوعبها الطفل، وَلا يقدر على مجاراتها في مثل هذه السن، كما تتميز القصيدة بالعمق، وعدم صلاحها للإلقاء الجماعي الذي يؤلف بين الأطفال ويجمعهم على كلمة واحدة في بدء حياتهم، وما أحوجنا لمثل هذه الوحدة في الكبر.. تستشعر ذلك الصوت الواحد الجماعي بسهولة في هذا النشيد الإلهي الجميل الذي يأخذ بالطفل نحو النور المبين، وكثير من القيم الدينية التي يرسخها مثل هذا النشيد في عقل الطفل(١):

كتـــــابُ اللهِ أحيانَـــــا *** وبالتّوحيـــــدِ أوْصَـــــانَا
ففـــي قُرآنِنَـــا نُـــورٌ *** يُضـــيءُ ظـــلامَ دُنْيَانَـــا
سِـــوى القـــرآنِ لا نَرجُـــو *** شَـــريعتُهُ لَنَـــا نَهْـــجُ
وفـــي آياتِـــه عِبـــرٌ *** وأحْكَـــامٌ بِهَـــا نَنْجُـــو
يُحـــذّرُنَا مِـــنَ الشّـــرِّ *** ويـــدْعُونَا إلـــى الخَيْـــرِ
وبِالطّاعَـــاتِ يَأمُرُنَـــا *** وبِالإحْسَـــانِ والبِـــرِّ
إلـــى القُـــرآنِ نَحْتَكِـــمُ *** وبَالإســـلامِ نَعْتَصِـــمُ
كِتـــابُ اللهِ وحّدَنَـــا *** فَلَـــا عُـــرْبٌ ولَـــا عَجَـــمُ

- **أَهَمِيَّة هذا الجنس الأدبي للطفل:**

إنَّ أدَبَ الأَطفال مهمٌّ جداً للطفل في جميع مراحل عمره، حيث يشعره بالمتعة، ويعمل على توسيع مداركه، ويُشبع فُضُولَه وحُبَّه للمعرفة، ويعرف من خلاله الاكتشافات الجديدة فهو غذاء فكري ونفسيٌّ وتربويٌّ وَعاطِفِيٌّ.

(١) المرجع السابق: الصف الثالث الابتدائي، ص ١٥.

وبشيء من الإيجاز نقول: إن أَدَب الطفل على جانب كبير من الأهمية للطفل للأسباب التالية:

١- يُسَلّي الطفل ويُشعِرُه بالمتعة ويُشغل فراغه ويُنَميّ هواياته.

٢- يُعرفه على البيئة التي يعيش فيها من جميع جوانبها.

٣- يُساهم في اطلاعه وانفتاحه على أفكار وأراء الكبار.

٤- يُنَميّ القُدرات اللُّغوية عند الطفل، وذلك بزيادة المفردات اللُّغوية لديه وتنمية قدرته على القراءة والاستيعاب.

٥- يُساهم هذا الأدب في النمو الاجتماعي والعقلي والعاطفي للطفل.

٦- يُزوّد الطفل بروافد ثقافية متنوعة تميز بها في سنّ مبكرة.

٧- يتعلم الطفل من خلاله طريقة التركيز والانتباه والملاحظة الدقيقة.

٨- يُساهم هذا الجنس الأدبي بدرجة كبيرة في تنمية الذوق الفني لدى الطفل من خلال الإيقاع (الصدوي) للأناشيد والموسيقى الخفيفة والألوان الجميلة.

٩- ينفتح الطفل بدراسة هذا الأدب على العديد من الشخصيات الأدبية والتاريخية والعلمية والدينية والسياسية من خلال قصص البطولات والمشاهير.

١٠- دراسة الطفل لهذا الأدب – أدب الأطفال – تجعل منه إنساناً متميزاً نظراً لمطالعته أشياء كثيرة عن المواد الدراسية المقررة.

١١- يعمل على خلق الاتجاهات الاجتماعية السليمة لديه، ويعرف بالعادات والتقاليد الواجب اتباعها في مختلف الظروف، ويُسَاهِم في الانتماء للمجتمع.

١٢- يكوّن ثقافة عامة ومتنوعة المشارب لدى الطفل .

- **أهمية أدب الطفل للمجتمع..**

ويُعد أَدَب الأطفال مُهِمًا للمجتمع بشكل عام لأَنّه يُقدم أعمالاً أدبية متنوعة تعبر عن كفاءة فنية يُصورها جمال الأسلوب وسمو الفكرة، وتعمل على التأثير في الطفل وتغييره للأفضل، وعمليةُ التغيير هذه رسالة الأدب وغاية التربية. وهو ما يتطلع إلى تحقيق النص الذي يكتب للطفل في حاضرنا. ذلك أن أطفال اليوم هم أمل الأمة في مستقبلها وشباب الغد المأمول بسواعدهم القوية، وبفكرهم المنير المعتدل ينمو المجتمع ويزدهر.

ويكفي أدب الطفل أهمية أن يكوّن الطفل تكوينًا صحيحًا في زمن طفولته، وشريحة المتأدبين من أدباء ومتذوقين، في أي مجتمع حين ينشؤون على حبّ الأدب والميل إلى فنونه، يضمنهم المجتمع في ضوء ذلك مواطنين أسوياء في سائر مراحل نموهم وحتّى الكهولة، ذلك أنّ الأدب بخصائصه الذاتية يكسب الفرد الجمع بين الواقعية والمثالية، والمذهب الفني يعكس سلوك شخصية الفرد، لذلك نرى أدب الطفل يهب المجتمع المواطن السوي، فلا جنوح، أو انحراف، أو تعصّب، أو إرهاب، لأنّ الشخصية قد هذبت في أعز ما تملك: مشاعرها، وأفكارها في آن، أو بعبارة أخرى قال بها خبير أدب الطفولة في المعاصرة الدكتور أحمد زلط – المدخلات الصحيحة (ومنها أدب الطفل بوسائطه) تؤدي إلى مخرجات صحيحة، وأهمها الإنسان السويّ .

وهو ما نقف عنده بعض نماذجه ونحن نتحدث عن أهداف أدب الطفل، وأسماها غاية: من تقوية إيمان الطفل بالله، والوطن، وحب الخير، والعدل، والإنسانية، أو ما تحمله القصص من قيم: معرفية وثقافية، وقيم اجتماعية تعمل على تكامل شخصيات المجتمع قوميًا ووطنيا، وقيم عملية اقتصادية وأخلاقية وجسمانية، والأهم في ذلك: القيم الاجتماعية: والتي تتضمن وحدة الجماعة، قواعد السلوك المجتمعي، حب الناس، وغير ذلك مما سيأتي الحديث عن مثله .

- **أَهدَافُ أَدَبِ الطفلِ وَاتّجَاهَاته ..**

تكاد تَتَّفِقُ أَهدافُ تأديب النشء مع ما تهدف إليه العقيدة، فليس من قبيل التوارد أن تكون أول آيات التنزيل القرآن: (اقرأ). والقراءة بمعناها الواسع، دعوة متكاملة للنظر والعمل، ولا عمل بدون نظر، والعلم وسيلة المخلوق لتدبر كل ما خلق (سبحانه وتعالى) من أجل بناء روحي متوازن، واكتساب قيم وسلوكيات رفيعة، تُكَوّنُ مواطناً سويًّا يحافظ على وطنه، وعلى لغته، ويعبر عن آمالها وآلامها، بتعبير سليم..

وما سبق من رؤى، إنما هي اتجاهات يهدف إلى تحقيقها الأدب الطفولي، وتنطلق من تعريفاتها العديدة التي منها: "أنه يتمثل في تلك الآثار الفنية التي تصور أفكاراً وإحساسات وأخيلة، تتفق ومدارك الأطفال، وتتخذ أشكال القصة والشعر والمسرحية والمقالة والأغنية"، وذلك في صورة يتوافر لها من مقومات الكمال التي تعرف بمقومات أدب الطفل وهي:

جمال اللفظ، وسُمو المعنى، إلى جانب توفر مقوم ثالث خاص بالأطفال وهو عنصر "التناسبية" من حيث الشكل والمضمون. أي ما يتناسب مع سن الطفل وعقله ومداركه ..

على نحو ما جاء في ديوان الشاعر أحمد زرزور الذي كتبه للأطفال بحسّ صادق بالطفولة والأطفال ووسمه بعنوان "ويضحك القمر" . قال عنه الدكتور أنس داود: يُعدّ ديوان " ويضحك القمر" من أعذب الأشعار التي كُتبت للأطفال، يقترب فيها الشاعر من حس الطفولة بالأشياء، وينتقل كالفراشة الهائمة، وكالعصفور المغرد بين مفردات الطبيعة، ومشاهد البيئة، ومراثي الجمال، يكشف عمّا في نفوس الأبطال من عذوبة وصفاء، وتعاطف مع الطبيعة والأشياء، لننظر ماذا تقول الشمس للصغار[١]:

(١) أدب الأطفال في البدء .. كانت الأنشودة: د. أنس داود، ص ١٩.

قـــد جئـــتُ يـــا صـــغار *** فغـــــادروا الســـــرير
وأنْـــــتِ يـــــا أزهـــــار *** دعـــي الشـــذى يطيـــر
قـــد جئـــتُ فـــي الصـــباح *** فاســـــتيقظوا معـــــي
نســـعى مـــع الفـــلاح *** صـــــوب المـــــزارعِ
قـــد جئـــتُ مـــن هنـــاك *** مـــن عـــالم بعيـــد
فَغَـــنّ يـــا شُـــبّاك *** ليومنـــــا الجديـــــد
هـــا: ضـــوئيَ الجميـــل *** يقـــــول: يـــــا أولادْ
لا تقربـــــوا الكســـــولْ *** لا تكثـــــروا الرقـــــاد

ولا شك أنّ مثل هذا الحديث البديع؛ من حديث الشمس، حينما تشرق في الصباح، والذي أبدعه شاعرنا أحمد زرزور، بجمال فني، وسمو في المعاني، وتناسبية شكله ومضمونه مع سنّ الطفل وعقله وإدراكه، يؤكد سمو أهداف هذا الجنس الأدبي الإنساني؛ وهو أدب الطفل .

وَتَتَمَثَّل الأهداف والاتجاهات كما حددها الدكتور أحمد زلط، فيما يلي:

أولاً: تدعيم البناء الروحي والمادي المتوازن في شخصية الطفل:

ويشتمل ذلك الهدف الأساسي على المحاور التالية:

١) ترسيخ دعائم الإيمان والعلم والفضيلة لدى الأَطفال.

٢) تنميةُ حَواس الطفل الإدراكية، وتوسيع رقعة الخيال عنده.

٣) تنميةُ مهارات الملاحظة والتأمل والاكتشافات والتهيؤ المعرفي.

٤) تفعيل الاستثارة الوجدانية عند الطفل.

ثانيًا: تَلْقِينُ القيم وَالسُّلُوكِيَات وَالآداب العامة:

وهو هَدَفُ تطمح إليه المجتمعات البشرية على اختلاف عقائدها عن طريق:

- التهذيب والتأديب بتلقين وغرس القيم والسلوكيات المحمودة في الناشئين.

- غَرسُ رُوح الانتماء والمواطنة في الطفل للحفاظ على بيئته ومجتمعه. (كما نرى في نشيد علم بلادي، وأنا أحب بيتنا) مما تمثّلنا بهما قبل قليل .
- مراعاة الآداب العامة ونبذ الآداب المرذولة.

ثالثاً: رِعَايَةُ الطفْل الموهُوبِ وحَفزه وتشجيعه..

وهذا الهدف هو أحد أهم الأهداف التي يقصد إليها من دراسة، أو قراءة (تذوق) أدب الطفل، ويتحقق ذلك الهدف عن طريق المدرسة والأسرة ومراكز رعاية الموهوبين، حيثيتم هنا في هذا الهدف:

١) اكتشاف المواهب الأدبية والفنية.

٢) العناية التربوية بتلك الفترة من الموهوبين.

٣) تفجير طاقات الطفل الموهوب في ميادين الإبداع والابتكار.

٤) توجيه الطفل توجيهاً خالصًا للمجالات الأدبية، والعلمية، أو المهارية.

رابعاً: الإِسهَامُ في تَحقيق نَظرية التربية المتكاملة:

وهو هدف مركب يشتمل على إكساب الطفل بعض المهارات والسلوكيات والعادات في المدرسة وخارجها، أي تنمية النواحي العقلية والنفسية والاجتماعية والصحية من خلال:

١) تنمية المهارات اللغوية (بتنمية مهارات القراءة والكتابة والاستماع والحديث).

٢) تنمية المهارات المعرفية (بتنمية القدرات العقلية كالتذكر والتفكر والتحليل والاستنتاج والكشف).

٣) تنمية العادات الصحية السليمة (بتوجيه الطفل لأساليب النظافة والوقاية وسلوكيات المحافظة على صحة البدن والصحة العامة).

٤) ترقية الجوانب النفسية (بترقية الأحاسيس والمشاعر، والاندماج مع الآخرين، والتكيف مع الأتراب وطبقات المجتمع).

٥) اكتساب السلوكيات الاجتماعية بتحويل القيم الخلقية إلى سلوكيات ومعاملات مرغوبة، وتعريف الطفل ببيئته، ووطنه، وأمته، وعالمه .

خَامِسًا: تكوين المواطن السّويّ:

فأدب الطفل يهدف إلى تكوين المواطن السويّ فلا جنوح أو انحراف أو تعصب أو تطرف أو إرهاب، لأن الشخصية قد هذبت في أعزّ ما تملك: مشاعرها وأفكارها في آن واحد.

سَادسًا: الحفاظ على اللغة العربية على ألسنة الناشئين:

ومعلوم أنه يُقاس تقدم أي جماعة بشرية لغوية، بمدى محافظة أهلها على اللغة الأم، والعمل الدؤوب على صيرورتها وتجديدها، لغة رسمية للعلم والأدب وشتّى صور الاجتماع البشري، ويهدف أدب الطفل فيما يهدف إلى التأكيد على مكتسبات الطفل من قراءة نصوص الأدب وتذوقها، فتعلو لغته، وتزداد إشراقًا ووضوحًا في مجالي التعبير والتفكير، بالإضافة إلى نمو التذوق الأدبي مرحلة إثر أخرى .

سابعًا: التنفيس الانفعالي وتخفيف حدّة القلق:

حين يُغنّي الأطفال أناشيدهم، أو أغاني ألعابهم، يهدف أدب الطفل هنا إلى التنفيس عن الانفعالات المكبوتة لدى الطفل، فيتغلّبون على مخاوفهم أو توترهم، وهذا الهدف أشبه بنظرية التطهير التي قال بها أرسطو حول الآثار المترتبة على الأدب والفن .

ثامنًا: تشجيع الطفل على حرية التعبير، وأساليب التفكير:

يهدف أدب الطفل إلى تشجيع الأطفال على التعبير عن مشاعرهم، أو أفكارهم بحرية وطلاقة، بقدر ما يمدهم بخبرات التفكير الناقد التي تتبدى في الموازنات والمقارنات، واستنتاج العلاقات الخيالية (الذهنية واللفظية) .

تاسعًا: تحقيق الوظائف الفنية، والجمالية، والترويحية:

إنّ التسلية، والفكاهة، والاستمتاع بالمرح، هدف وظيفي يسعى أدب الطفل إلى تحقيقه من خلال تقديم الوظيفة الترويحية، في ألوان التعبير الأدبي للأطفال، أمّا الوظيفة الفنية فهي إكساب الطفل الخصائص الفنية للنص الأدبي للأطفال، مِمّا يناسب أعمارهم، وتنمو تلكم الخصائص باضطراد النمو (الابتعاد عن التعقيد الفني)، والجمالية كهدف، فتعني (إبراز وعكس قيم الأشياء التي تثير فينا الإحساس بجمالها)، أي تقدير الجمال في البيئة المحيطة بالطفل في شتّى مظاهرها(١).

*****

(١) للمزيد يراجع هنا:
- أدب الطفل العربي، دراسة معاصرة: د. أحمد زلط .
- فلسفة الجمال والفن عند هيجل: ترجمة وتعليق د. عبدالرحمن بدوي.
- في أدب الأطفال: د. علي الحديدي.
- مدخل إلى أدب الطفولة (أسسه – أهدافه – وسائطه): د. أحمد زلط.

المبحث الثالث

مقاربات حول فُنونُ أَدَب الطفلِ

إنَّ ما يُقدم للطفل العربي من فنون التعبير الأدبي، يكاد لاَ يُحدّ ولا يُعَد، من حيث شكله ومضمون، ولكن نكتفي منه بلون مشهور، وهو: ما يقدم للطفل في مجال الشعر وفنونه، كأغاني المهد، والأناشيد، وشعر المناسبات، وغير ذلك مما نعرض له عبر هذه السطور .

وأول ما نتكلم عنه ممَا يُقدم للطِفل في مجال الشعر وفنون:

[١] أَغَانيِ المَهدِ (أَغَاني التَّرقيص):

وأُغنية المهد من أَقدم أشكال التعبير الأَدبي الموروثة، وفي أَدبنا العربي المعاصر انتقلت الأُمهوداتُ في تبسيط لُغوي لتعني: الأرجوزة القصيرة التي تميل إلى الإيقاع الصوتي والنَغَميّ، وتُفِيدُ الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة (فترة المَهْد) قبل سِنّ المدرسة بنحو عامين أو أكثر.

ومؤلف أغاني المهد (أغاني التَّرقيص) قد تكون الأُمُّ أَو الجَّدة، أَو مجهولة النَّسَب التأليفي، أَو من نظم الرُّجّاز من الشعراء. يقدم للطفل بصوت حسن منغم، يتفق مع كون الهدهدة، **(الغِنَاءُ لِلطفل بالكلام الموزون في إيقاع مَنغُوم)**. مما يستفيده الطفل في هذه المرحلة مرحلة المهد.

لذا قال أُهلُ الطب:

إنَّ الصَّوتَ الحسن، يجري في الجسم مجرى الدم في العروق، فَيَصفُوا له الدم، وتنمو له النفسُ، ويرتاح له القلب، وتهتز له الجوارح، وتخف له الحركات ولهذا كَرِهُوا أن ينامَ الطفلُ على أثرِ البكاءِ[١].

(١) الوسيط في الأدب العربي وتاريخه: أحمد الإسكندري (بالاشتراك)، ط١ القاهرة، دون تاريخ، ص ٤٢ وما بعدها.

والطفل مَيَّالٌ بطبيعته إلى الاستجابة للتَّغَنِّي على أَصواتِ الكلام المنغُوم، ويميل كذلك ويطرب لسحر الإيقاع الموزون، خَاصّةً مِمَّا يَصدُر عن أُمّه في فَترةِ مَهْدِهِ من كلمات الهدهدة (**الغِنَاءُ للطفل بالكلام الموزون في إيقاع مَنغُوم**). والأُمُ بهذه الفطرة هي المنبعُ الأول لأغاني الطفل في فترة المَهدِ، فهي حَاضِنتُه ومربيتُه والمؤدب له(١).

والأدب الشعبي في أَحد أشكاله التعبيرية، يحوي فيما يحوي، من أُمهوداتٍ شعبية تنتشر في الأقطار العربية، بروايات مختلفةٍ، من مثل(٢):

"**حَادي بَادي .. اعطيني مُرَادِي .. ليلة الجمعة.. أو قد لك شمعة..**

حَادي بَادِي.. سِيدي محمد .. البغدادي.."

ومن أَغاني المهد في الأدب الرَّسمي (الوصفي) من أدبنا العربي الموروث والجديد، ما نطالعه لهذا الأعرابي الذي راح يُرقص وحيدته بغناء، يرسم صورة أدبية رفيعة لما كانت عليه الفتاة العربية من خَلْق ومن خُلُق، ومن مكانة عند أَبِيها لتنفي عن العربي القديم عمومُية وَأدِ البنات، وتؤكد في الوقت ذاته، تجذر أدب الطفل في رحم الأرض العربية فيقول(٣):

كَـــرِيمَـــةٌ يُحـــبُّها أَبُوهَا

مَلـــيـــحَـــةُ العَيْنَيْنِ، عَذْبٌ فُـــوها

لا تُـــحْـــسِـــنُ الـــسَّـــبَّ وَإنْ سَبُّوهـــا

---

(١)مدخل إلى أدب الطفولة: د. أحمد زلط، ط١ جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض ٢٠٠٠م، ص٥٢ بتصرف.

(٢)أغاني المهد في الكويت: بزة الباطني، ط ١ مطابع الدوحة الحديثة، قطر ١٩٨٦م، من ص ٦٥ وما بعدها.

(٣)المرجع السابق، ص٨٣، وأدب الأطفال في البدء كانت الأنشودة: د. أنس داود، ط دار المعارف ١٩٩٣م، ص١٤.

وكان أحد الأعراب قد ابتلى بامرأة لا يُحبّها، ورزق منها بنتًا جميلة، أحبّها كثيرًا، فكان إذا رقّصها عرّض ببُغضه لامرأته، وأنه يتمنى لو خلص منها، فيقول(١):

بُنيّتي رَيــْحــانةٌ أَشُــمُّــهَا * فَدَيْتُ بِنْتِــي وفَــدَتْني أُمُّهَــا**

وفي العصر الحديث ضعف الأسلوبُ بما كان عليه في القديم فرأيْنَا مِن مثل:

ذَهَبَ اللَّيْــلُ طَلَــعَ الفَجْــرُ * وَالعُصْــــــفُور صَوْصَــــــوْ**

شاف القطة قال لها بِسْــبِسْ * قَالَــــتْ لــــه: نَــــوْ نَــــوْ**

ومنهُ أَيْضًا مع استعمالٍ شعبي: "ننَّا نَام.. نِنَّا نَام.. وَادْبَحْ لَكْ (جُوزين) حَمَام(٢).

[٢] أَغَانِي الأَطفَال وَأَنَاشِيدهم(٣):

إذا كانت الأُمهودات تختلف في شكلها المعماري عن أَغاني الأطفال في الأدب الرسمي، فهي لا تزيدُ عن البيتين، أو الأربعة في أَغلب الأحوال، وتنتظمُ أُغنية المهد

كذلك بعضُ الألفاظ غير المستعملة، أَمَّا (الأَغاني) التي يُردِّدُها الأطفالُ بعد فترة المهد فهي تميلُ إلى السُّهولة بحيث تقتَرِبُ من قامُوسِ الطفل.

---

(١) محاضرات الأدباء، للراغب الأصفهاني، ط مصر سنة ١٣٢٦هـ، ١٥٧/١، والترقيص والغناء عند العرب، ص ٨٢.

(٢) أدب الأطفال، مقوماته الأساسية: محمد محمود رضوان (بالاشتراك)، ط وزارة التعليم، القاهرة ١٩٨٢م، ج٢ ص ٥٧ .

(٣) أفاد البحث في هذا التقسيم من تقسيم الدكتور أحمد زلط الي جاء وافيًا عن غيره، راجع للمزيد: مدخل إلى أدب الطفولة .. أسسه وأهدافه ، وسائطه: من ص ٥٤ وما بعدها.

وتتنوع أَغاني الطفل، وتَتَشَعَّب إلى:

أ) أَغاني روضة الأطفال .

ب) أَغانِي اللّعب، وأَغاني المناسبات .

ج) الأناشيد المتنوعة (كالنشيد الديني، والوطني، والوصفي، والترويحي، والتعليمي) وإليك التفصيل مع التمثيل:

(أ) أَغاني روضة الأَطفال..

وتتوجه أَسَاسًا لأطفال الروضة في سِنّ ما قبل الالتحاق بالمدرسة من (٣ – ٦ سنوات) ويكتبها شاعر أو مُرَبِّ ليردِّدها أطفال الروضة في مناشطهم اليومية، وتميلُ إلى الإيجاز، والإيقاع الحركي، والتكرار اللغوي، والتنغيم الموسيقي، وهو ما يبلور سمات وخصائص أغاني روضة الأطفال، مما نتلمسه في هذه الأغنية (أغنية الحلوى التي تقول):

أُختـــــي ســـــلوى * مَعَهـــــا حلـــــوى**
وَمَعِـــــي مَـــــوْز * وَمَعَهـــــا لّـــــوْز**
هـــــي تُعطينـــــي * أَنَـــــا أُعطيهـــــا[1]**

وكذلك أَغنيةَ الصَّلاة بوزنها القصير الخفيف، والتي تقول[2]:

صَلَواتي خَمْسُ في اليـوم * مِنْ سَاعَةِ صَحْوِي للنَّـــوْمِ**
شُـــكْرًا للـــه علـــى كَرَمِـــه * حَـــمْداً للّه عَلَـــى نِـــعَمِـــه**
لاَ أَتْـــرُكُ أَبـــدًا صَـــلواتي * صَارَتْ من أَجْـمَل عَـاداتي**

والمُتَأَمِلُ في الأُنموذَجين السَّابقين يستشعر الوَزْن القصير الخفيف الذي يؤكد أَنَّ مثل هذا الوزن، وكذلك وزن الأَراجيز بخاصة، هو الوعاء الإيقاعي

(١)، (٢) التربية الحركية: أحمد سويلم وآخرون، ط١، وزارة التعليم، القاهرة، ١٩٨٨م، ١ / ٥٢.

السديد لأطفال تلك المرحلة. فالجانب الإيقاعي في تفاعيل الحياة التي نحياها – كما هو في الموسيقا والشعر – يعني بالنسبة للطفل الصغير الحياة والحب والأمان.

وصياغة الأُغنيتين السابقتين جاءت مكثفة لمضامين عديدة تربوية كالترغيب في العطاء الذي يتبدى في ثنايا المقطوعة الأولى، ونعمة الصلاة في الثانية، ولفت الأنظار إلى المحافظة عليها شكراً لله وحمدًا. وإن أَخفق كاتبها في صياغة البيت الأخير حينما جعل الصَّلاة من أجمل العادات، وهو تعبير مرفوض عقديًا وتربويًا، وكان الأحرى أن يقول في البيت الأول ما يرضي الله، ومَا يُرسخ هذه العبادة في نفس الطفل بوصفها "عماد الدين" فيصيغ البيت هكذا:

لاّ أَتْـــرُك أَبـــداً صـــلواتي * صَارَتْ مِن أَجْمَـــل أَوْقَـــاتي**

(ب) أَغَاني اللَّعب[1]:

لَون ثانٍ من أَلوان أَغَاني الأَطفال، فَهْو غِنَائيٌّ حركي مثل أغاني الرَّوضة، إِلاَّ أَنَّهُ يَتَنَوَّعُ فيِ الشّكْل وَالمَضمونُ كذلك. وأَغاني اللعب قد يكتبها شاعِرٌ، أَو مُرَبّ، أَو من التأليف التلقائي (للأطفال)، والمصاحب لأِلعابهم، أَوْ أَدوارهم في اللعب الفردي وَالجماعي.

وَأُغنيةُ اللَّعب تتوجه للبنين أو للبنات أَو للنّوعين مَعًا، في شكل أَداءٍ فرديّ أَو جَماعيٍّ، وتطول المقطوعة الشعرية بحيث تتضاعَفُ شكلاً عن أُغنية الروضة، وَرُبَّما – يدخُل حِوارُ الأَطفال في سياقها النَّظْمي وَالحركي، وتميلُ

(١) خلط الدكتور أحمد زلط بين أغاني اللعب وأغاني المناسبات، ولم يفرق بينهما، وأظنّ أن الإيقاع هو الذي أوهمه بأنهما واحد، بينما هما مختلفان في الصياغة والمضمون، مِمّا يعوّل عليه في تنشئة الطفل تنشئة سامية، انظر: مدخل إلى أدب الطفولة: ص٥٨، وما بعدها.

إلى الرّكض والحركة. لذا فالوعاءُ العروضيُّ منظومٌ في الأَغلب في مجزوءات البحور السريعة الراكضة.

– يقول الشاعر أحمد بكر إبراهيم(١):

أَيُّ لَـــــعِبٍ تَلْعَبُـــــون * يـــا رِفَـاقِي خَـبّـــرُونِي**
هَـــلْ تُغَطُّـــونَ العُيُـــون * وَأُنَـــادِي .. أمْسِكُـــوني**
أَمْسِـــــــــــــكُونِي * أَمْسِـــــــــــــكُونِي**
أَو عَلَـــــــى الأَرْض أَدُور * حَـــوْلَكُمْ أَرْمـــي عَلاَمَـــةْ**
حِـــينَ أُلْقِيـــها أَطيـــر * وأُنَـــادِي فـــي شَهَامَـــةْ**
أَدْرِكُـــــــــــــونِي * أمْسِـــــــــــــكونِي**

وهُناك من الأغاني التي ترتبط باللَّعب، أَيُّ لَعبٍ ما، مثل (لُعبَةُ الكرسي) أو (نط الحبل) أو (الأُرجوحة) أو (الإخفاء) وغيرها مثل أُغنية سباق العَدْوِ (الجري) للشاعر أحمد سويلم والتي يقول فيها(٢):

تسَابَـقُـــــــــــــوا * تَـسَابَـقوا لآخـر السِّبَـاق**
وَأَطْلِقوا سيـقانَكُمْ لِلرِّيح وَالآفَـاق
فَمَـــنْ يَصِـــلْ بجَهـــدِه * يَفُـــزْ علـــى الرِّفـــاق**
أَدْرِكُـــــــــــــونِي * كَالشـــمسِ فـــي الإشْـــرَاق**

وَأَغَاني اللَّعب تمتّدُّ مع الطفل عبر مراحل طُفُولَتِه.. في رَحَلاته، وفي أَلعابه الفردية أَو الجمَاعية، ومن هذا النوع تلك الأُغنية الوصفية المرتبطة باللعب في عُطلةٍ خَلَوِيَّة .. يقول الشاعر أحمد نجيب بعنوان "هَيّا نجري ..هَيَّا نجري"(٣):

---

(١) المنظومة: للشاعر أحمد بكر إبراهيم، نقلًا عن: مدخل إلى أدب الطفولة: ص ٥٨.
(٢) المرجع السابق: ص ٥٩.
(٣) أدب الأطفال (مقوماته الأساسية): محمد محمود رضوان وآخرون، مرجع سابق.

(١)

هَيَّـــــا نَجْـــــرِي *** نَحْـــــو المَلعـــــبْ
صَـــــفّقْ مَعَنَـــــا *** وَارقُـــــصْ وَالْعَـــــبْ
هـــــذِي كُرَتـــــي *** مِثْـــــلُ الأَرْنَـــــبْ

(٢)

تَجْـــــرِي مَعَنَـــــا *** حَتّـــــى نَتْعَـــــبْ
نَجْلِـــــسُ حينًـــــا *** عِنْـــــد النّهـــــرِ
وَسْـــــطَ الظِـــــلِّ *** وَقْـــــتَ الظُّهْـــــرِ

(٢)

وَنَـــــرَى الـــــوَرْدَ رَمْـــــزَ الحُسْـــــنِ
مَـــــالَ جَمَـــــالاً فَـــــوق الغُصـــــنِ
غَنّـــــى الطّيْـــــرُ حـــــين رآنِـــــي
نَقْضـــــي يَوْمًـــــا بَـــــيْنَ الزَّهْـــــرِ
ثُـــــمَّ نَعُـــــودُ بَعْـــــدَ العَصْـــــرِ

هَذا عن أغَانِي اللّعب بما فيها من نظام حركيّ يختلف عن أُغنية الرَّوضة، وسماتها التي تبلورت في أنّها:

- تتّسم أول ما تتّسم بالطول في نظمها.
- تميل نحو الرّكض، والحركة بما يُناسب الطفل في هذه المرحلة العمرية.
- تتّسم بحوار الأطفال في سياقها البنائي.
- في أنها تتّسم بملازمتها الطفل، حيث تمتد مع الطفل عبر مراحل طفولته.

لهذا يجب أن تستمد موضوعات أدب الأطفال من كل ما يهتمون به، أو يتحمسون له، أو يتعاطفون معه، وما يتصل بحياتهم اليومية وأشيائهم

الصغيرة التي لا يلتفت إليها الكبار. وعلى مبع هذا الجنس الأدبي الإنساني أن يُجيب في كل ما يكتب للأطفال عن سؤال مضمر في نفوسهم طرحه أحد منظري أدب الأطفال في المعاصرة، يتمثل في: " أين مكان الأطفال من هذا العالم الذي خطط وجهّز ونظّم بحيث يناسب الكبار وحدهم فقط، في نومهم ويقظتهم، وفي حلهم، وترحالهم، وفي لهوهم، وحياتهم اليومية ؟!! "(١).

أَمَّا عَنِ المُنَاسَبَات فَلَهَا في حَياةِ الطفل أَغَانيها الخَاصَّة بها، مثل:

ذكرى الهجرة، أَو ختم أَجزاءٍ من القرآن، أَو حفظُه كُلُّه، أَو استهلال شهر رمضان أو الفرحة بسقوط الأَمطار، أَو الاحتفاء بيوم سعيد من أيام الأسرة العربية كأيام العيدين وغيرها.

وأُغنيةُ المناسبات في حياة الأَطفال تدخل في دائرة الأدب الشعبي في أَغلبها، وبها بعض الهنات (الكسور في الوزن العروضي) لكن الأَداءَ التَّصويتي بها على لِسَانِ الفرد/ الجماعة، يُحدثُ التصويت المطلوب على مستوى الشكل الأدائي..

وَمِن الأَغاني المنظومة في الأَدب الرسمي، منظومات كثيرة تُعبِّرُ عن استقبال شهر الصَّوْم في بِلادِنَا العربية، له شوقٌ خاصٌّ وفرحَةٌ غامِرةُ، تُعَبِّرُ عنها مثل هذه الأغنية للشاعر يس الفيل الذي يقول فيها(٢):

نَسْتَقْبِلُ الصّيَام * بالحُبِّ كُلّ عَام**
وَقَبْلَ أَنْ نَنَام * نَسْعَى إلى القيام**
وَحِينَما نَعُود
نَقُولُ لِلْوجُود * مَا أَجْمَلَ الصِّيَام**

(١) شعر الأطفال إلى أين: عبد التواب يوسف.

(٢) أدب الطفولة بين كامل كيلاني ومحمد الهراوي، د.أحمد زلط، ط١ دار المعارف ١٩٩٣م، ص ٣٣.

مَنَـــــارَةُ المحَبَّـــــة *** تضـــــيءُ للأَحِبَّـــــة
نَهَـــــارُهُ عِبَـــــادَة *** ولَيْلُـــــهُ سَـــــعَادَة
وَصَـــــوْمُه شـــــهادة *** بِقُـــــــــوَّةِ الإرادة
فَأَيْنَمـــــا نَكُـــــون *** وَوَقْتَمَـــــا نَكُـــــون
نَقُـــولُ فـــي يَقـــين *** مَـــا أَجْمَـــلَ الصِّـــيام

وَيَلْتَقِطُ الشاعر يـــس الفيل مناسبة "الهجرة" فيكتُب أُغنيةً حَوْلَ المُناسبة في أَبْعَادِهَا الدينية فيقول(١):

الهِجـــرَةُ كانـــت عُنوانـــاً *** لكتَـــاب الحَـــقّ وبُرهَانًـــا
الهجـــرةُ صَـــنَعتْ أَبْطـــالاً *** كَانـــت للتَّضْـــحِيَةِ مِثـــالا
الهجـــرَةُ نُـــورٌ وانتشـــرا *** وَجهادٌ كَـــم صَـــنَعَ البشـــرا
الهِجـــرةُ كانـــت وســـتبقى *** فَتْحًـــاً وَجهـــادًا ونِضَـــالاَ

ويَستقْبِلُ جمهورُ الأطفال – ملايينُ التلاميذ العرب – عَامَهُم الدراسي فيذهبون إلى المدرسة بعد عطلة طويلة، وقد عبَّر عن هذه المناسبة في أُغنيات شاعرة الكثير من الشعراء مثل قولهم(٢):

إِلـــى الـــدُّروسِ أَذْهَـــبْ *** وَمَلْبَســـــي مُهَـــذَّبْ
وَفـــي يَـــدي حَقِيبَتـــي *** وَمَـــا بِهَـــا مُرَتَّـــبْ
وَمَـــا بِهَـــا جَمِيعُـــهُ *** يُفيـــــدني وَيُعْجِـــــبْ
وَعِنْـــدَمَا يَجِيئُنـــا *** مُـــدَرسٌ، أُرَحِّـــبْ
ودَرْسُـــه يَسُرُّنـــي *** وَمَـــا يَقُـــولُ أَكْتُـــبْ
وَإِنّـــي أُطِيعُـــهُ *** وَفـــي رِضَـــاهُ أَرْغَـــبْ

(١) المرجع السابق: نفسه.
(٢) أناشيد الأطفال: شعر يس الفيل، مخطوطة.

وهذا مقطع من هذا اللون الأدبي زاوج فيه الشاعر يس الفيل بين المدرسة والسلوكيات السليمة فيقول(١):

أَصْحُو مِن نَوْمِي يَــا أَبَتَــيِ * فِي الصُّبْح وَأَبْــدَأ بصــلاتي**
وَأَسِيرُ..أَسِيرُ لِمـــــدْرَسَتي * فَرحَانًـــا أَسْــبِق خُطْــواتيِ**
في كُلّ صبَاح يَا أَبتي

(جـــ) الأَنَاشِيد:

وَالأَناشيد نوع من أَغَاني الأطفال، جمع نشيد. والنشيدُ لَونٌ أَدَبيٌّ متعدد التنويعات، يُؤَلَّفُ ويُلَحّن لِيُخَاطِب جمهور الطفولة، بل الفتيان.

بل منظومة شعرية صَدَوية الإيقاع اللُّغوي والموسيقا، يُرَدِّده الأَطفال بصوت عالٍ، فالنشيد، والتَّنَاشيدُ: رفع الصوتِ بالغناء. "والنشيد: الشعرُ (المُتنَاشَد) بين القوم"(٢).

والنشيد: رفع الصوت، ومن هذا إنشادُ الشِّعرِ، إنّما هو رفع الصوت، وأنشد الشعرَ: وتناشدوا: أنشد بعضهم بعضًا .فكان النشيد: الشعرُ المُتناشَد بين القوم يُنشده بعضهم بعضًا(٣). وأنشدني إنشادًا حسنًا، وله أناشيد ملاح، وسمعت منهم نشيدًا مليحًا وهو الشعر المُتناشد بين القوم ينشده بعضهم بعضًا(٤).

والأطفال ميالون بطبيعتهم إلى التَّغَنّي بالأَناشيد، وهم ينشطون لذلك، وبها يفرحون، وتَطْبَعُ في أَذْهَانهم ونفُوسِهم المُثُل والقِيم المرجّوَّة في تنشئتهم . فهي من قبل ومن إفراغ مباشر للشحنات العاطفية، في تشكيلات موسيقية ساحرة،

---

(١) المرجع السابق.
(٢) مختار الصحاح: محمد بن بكر بن عبدالقادر الرازي، ط مكتبة لبنان ١٩٨٥م، ص٢٧٥.
(٣) لسان العرب: لابن منظور المصري، ط دار المعارف، مجلد ٦، ص ٤٤٢٢.
(٤) أساس البلاغة: للإمام الزمخشري، ط٤، دار التنوير العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٤ه/ ١٩٨٤م، ص ٤٥٦.

مستخدمة إمكانات الصوت البشري، سواء في انتساب إلى لغة، أو عدم انتساب إلا إلى القدرة الموسيقية، وطاقته التعبيرية المجردة كما عبّر الشاعر الدكتور أنس داود، فكان النشيد بهذه السمات وتلك المكانة أقدم وجودًا، وأقرب إلى استمالة الطفل في مرحلته الباكرة .

والأَناشيد تتنوع في مقاصدها وأنواعها، بحيث تُثرى العملية التعليمية، ومناشطها ومناسباتها طوال العام الدراسي، والنشيد الجيِّدُ في (مبناه ومعناه) يصرفُ أَذهانَ النَّشء عن الأغاني الرذيلة، أو العبارات المبتذلة التي قد يَسمَعُها الأَطفال في بيئاتهم المختلفة، والأمل مازال معقودًا على كُتاب لهم رسالة سامية في هذا الباب، ننتظر منهم إبداعًا للطفل في مراحله المبكرة، والتي تستميله إلى الجمال والحب، وتفتح وجدانه لموسيقا الطبيعة، وموسيقا الحياة، بعيدًا عن الذبح والدماء وشريعة الغاب التي تفزع أطفالنا، من مثل:

هيه .. هيه / نِنَّا .. نام / ننّا .. نام / لا دبح لك جوزين حمام .

وإذا كان النشيدُ يكتبه الكبارُ لِيُنَاسِبَ المراحِلِ العمرية للطفل (شكلاً ومضموناً)، فإن النشيد في ضَوء ذلك يتنوع إلى النشيد: الديني، والوطني، والوصفي، والترويحي، والتعليمي، وجميعُها ذاتُ أَهدافٍ تربويةٍ متكاملة.

[١] النَّشّيدُ الدّيني:

وَهُو أُنشودَةُ تتَناول أُسُسَ العقيدة، أَو شُؤون الدين، وفي مُقدمتها مناجاة الخالق عز وجلَّ، وهو لونٌ صَاف من ألوان التعبير الأدبي (الشعري) الموجه للطفل في سائر أَقطار الأُمة[١]، ومنه نُورد هذه النماذج المتباينة في رسالتها التربوية الدينية، والمختلفة عن بعضها في مضمونها وإن اتفقت في هدفها الواحد.. منها هذا النشيد بعنوان "الله"[٢]:

---

(١) مدخل غلى أدب الطفولة: مرجع سابق، ص ٦٤ بتصرف، وزارة التربية والتعليم، القاهرة، ١٩٥٩م، ٢٣/١.

(٢) الأناشيد المدرسية: مجموعة من الشعراء، ط١.

مَنْ يُنْبِتُ الأَشْجَارا

هَـــذَا هُـــو الإلـــه * نَـــدْعُوه فـــي عُـــلاَه**
ويُنْـــزِلُ الأَمْطَـــارا * وَيَمْلِـــكُ الأَعْمَـــارا**
لَـــيْسَ لَـــهُ أَشْـــبَاه * نَقُـــولُ يَـــا الله**

ومن الأناشيد الدينية التي تدعو أطفالنا إلى توثيق أواصر الصلة بينهم وبين معجزة نبينا (صلى الله عليه وسلم) الخالدة.. حبل الله المتين – النور المبين .. فَخرُنا .. عِزُّنا.. هدايَتُنَا طريقنا المستقيم.. قُرآنُ رَبَنا الكريم.. يقول فيه الشاعر الدكتور إبراهيم أبو عباه[1]:

قُرآنُنَـــا نُـــورُ لَنَـــا * قُرْآنُنَـــا فَخْـــرُ لَنَـــا**
قُرْآنُنَـــا فِيـــه الهُـــدَى * فَهْـــوَ يُضـــيئُ دَرْبَنَـــا**
وَفِيـــه نَلْقَـــى عِزَّنَـــا * أَرْوَاحُنَـــا لَـــهُ فِـــدَى**

ومثل هذا النشيد يدعو كتاب أدب الطفل أن يعيدوا – من خلال إبداعهم – ربط الصلة الحقيقية بين أطفالنا ونشئنا، وبين كتاب الله عز وجلّ، وحديث رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)، فالأجيال المعاصرة بحاجة شديدة إلى تذوق البيان القرآني، وجمال الحديث النبوي الشريف، ومعرفة أوجه الجلال والجمال فيهما، والوقوف على صور الحياة مع هدي القرآن الكريم، ورجاحة التوجيه النبوي وحكمته، حتى لا تأخذهم أمواج التغريب بوجوهها الخبيثة، فتتسع الهوّة بين الأجيال وكتاب الله وسنة رسوله (صلّى الله عليه وسلّم)، وتراث الأجداد الذين تربوا على مائدة القرآن، وهدي الحبيب المصطفى (صلّى الله عليه وسلّم)، وأخبار السلف الصالح ..

ولقد ربّى كتاب الله جيلًا يندر أن يجود الزمان بمثله، هو جيل الصحابة، وأخرج أمّة من العدم لتكون ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ آل عمران: من

(١) ديوان شدو الطفولة، وهتاف الشباب: الشاعر السعودي د. إبراهيم أبو عباه، ط ١، العبيكان، الرياض، ص١٥.

الآية: ١١٠، فكيف لا يكون الهدف الأسمى، والمعين الأنقى للأدب الطفولي؟، وللأديب أن يجرب ويبحث عن الأساليب التي تتناسب مع أعمار الأطفال لكي يصل بينهم وبين كتاب الله عزّ وجل، ولكي يفتح لهم منافذ الفهم، والوعي، ويكشف لهم أسرار الجمال والإبداع في كتاب الله، ويضع أمامهم صورًا حية رائعة من كتاب الله، فكتاب الله عزّ وجل حافل بأروع الصور، وأجمل القصص، وأبلغ الأحداث. والحقّ أن تقوم تربية الطفل المسلم على تبجيل وتدبر القرآن الكريم وهدي الحبيب المصطفى (صلّى الله عليه وسلّم)، ومدارسة أخبار العرب القدامى، وحفظ الشعر الأصيل الذي يطلق اللسان حكمةً وبيانًا.

وفي النشيد التالي: (مناجاة) للشاعر محمود عبد الحي، نجد المستوى اللُّغوي أَو الفَنّي يُخَاطِبُ شريحة الفتيان من جمهور الأَطفال، ليعلم الطفل حقيقة العبودية لله عزّ وجلّ الذي ينعم وحده على عبده الذي خلقه بالسعادة الحياتية، والسكينة والطمأنينة، يقول الشاعِرُ في إنشاد شعري صافٍ[١]:

أَسْمِعْني صَـوْتَكَ يَـا رَبّـي * وَامْـلأْ أَيَّـامِي بِالحُـبِّ**

كَلِماتُـكَ يَسْـمَعُها قَلْبِـي * وَالْطُفْ في الحَاضِرِ وَالغَيْـبِ**

لاَ أَسْأَلُ غَيْرَكَ يَا رَبِيّ

ويلاحظ من خلال ما سبق أنّ مضمون النشيد الديني يقوم على:

- أسس العقيدة .
- شؤون الدين الحنيف .
- مناجاة الخالق سبحانه وتعالى .
- القضايا الدينية بوجه عام .

(١) جماليات النص الشعري للأطفال: أحمد فضل شبلول، ط١، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٦م، ص ٣٤.

[٢] النَّشِيدَ الوَطَنِيُّ:

أُنشودَةٌ حماسيةٌ يتغَنَّى بها الأَطفالُ في مدارسهم وَمَعَاهِدِهم وَحفَلاَتهم وَأيَّامهم الوطنية، ومناسَبَاتِهم المختلفة؛ ويُعمّقُ النشيد الوطني في الناشئين الانتماء والمواطنة الصحيحة، بما يتمتع به النشيد الوطني من نظم إِيقاعي صَدَوِيّ، ومفردات رَنَّانة. ومنه هذا النشيد الذي اجتمعت فيه رُؤى عديدة متنوعة في مضامينها تمثلت في مكانة مصر العظيمة على مرّ السنين، فهي مهد الحضارات، والعلوم والفنون، كما يظهر من جلال علمائها، وعظمة حكامها وعلو مكانة أبنائها بين الأمم، وكلها شيم، وقيم، تسمو بها الأوطان حينما يعيها ويستوعبها ومن ثم يترنم بها النشء، فالوطن قيمة لابد أن يتحلّى بها الطفل، ترى كُلَّ ذلك وأكثر في نشيد "**نُحِبُّ مصر**" للشاعر المصري أحمد محرم، والذي يقول فيه(١):

مِصـــرُ لَنَـــا مُنـــذُ القِـــدَمْ * رمـــزُ الجَـــلالِ والعِـــظَـــمْ**
مِصرُ انْهَضِي يَحْيَا العَلَمْ
أمُّ العُلُـــــومِ والفُنُـــــونْ * سَـــــادَ بَنُوهـــــا الأوّلُـــون**
ومِثْـــلَـــمَا كـــانوا نَكـــونْ * إِنّـــــا عَـــــلَيْهَا قـــــائمُونْ**
نَـــرْعَى الـــعُهُـــودَ والـــذِّمَمْ
نُحِـــبُّ مِصْـــرَ مُخْلِصـــينْ * ونَفْـــتَدِيـــهَـــــا أَجْمَعِـــينْ**
فيهَـــا حَيـــينـــا مُكْرَمِيـــــن وَهْيَ الحَيـــاةُ لِلـــبَـــنيـــــنْ
هِـــي الوُجُودُ والعَـــدَمْ
نَبْنِي لهَـــا خَيْـــرَ البِنـــاءْ نَعْـــلُـــو بِهَا إِلـــى السَّـــمَاءْ
نَدِيـــنُ فيهَـــــا بِالوَفـــــاءْ ومِصْـــــرُ أوْلَـــى بِالفِـــدَاءْ

(١) اللغة العربية: الخامس الابتدائي، الفصل الدراسي الثاني، ط العربية الحديثة، مصر ٢٠١٩م/٢٠٢٠م، ص ٧٧.

هِيَ الحِمَى وَهْيَ الحَرَمْ

وليس بخافٍ على أَحد الأُثر الحاسم الذي يُحدثُه النشيد الوطني (القُطْري) في أيّ قُطر عربي حيث نُردَّدُه في المناسبات المختلفة. فمازلت أتفاعل حتى اليوم رغم تقدم عُمْري مع النشيد الوطني القطري (لمصرنا الحبيبة) "بلادي / بلادي / بلادي.. لكِ حُبي / وفؤادي "، وهو من أقدم الأناشيد الوطنية التي رَدَّدَتهُ الأجيال في عالمنا العربي، إنّها مصر التي تستحق منّا، ومن كلّ عربي بذل الجهد، والعشق والحب، في قلب العروبة، وهي كنانة الله في أرضه، وهي العظيمة على مرّ الزمن، فهي موئل الأمن والأمان لمن دخلها بنص الذكر الحكيم في قول الله تعالى: ﴿ ...ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ يوسف: من الآية: ٩٩.

[٣] النَّشِيدُ الوَصفيُّ:

نشيد غِنائي صَدَوِي يَصِفُ مَا حَوْلَ الإنسان من طبيعة ومُخترعات ومهدٍ وغيرها، ويقوم هذا النوع من الأناشيد على التكرار المنغوم، أيضًا يكتبه الكبار لِلصّغار، ويُلَحّن ليؤدَّى في المناسبات، وأمثلته متنوعة مثل(١):

يَـــا عِيـــدُ يَـــا رَبِيـــعْ * تَجِـــــيءُ بِـــــالفَرَحْ**
أَحَبّـــــكَ الصِّـــــغَارْ * يَـــا ضـــحكَةَ القُلـــوبْ**
يَـــا عِيـــدُ يَـــا رَبِيـــعْ * تُـــــزَيِّنُ الـــــدُّرُوبْ**
يَـــا بَهْجَـــةَ الجَمِيـــعْ * وَالحُـــــبِّ وَالمـــــرَحْ**
بِفَرْحـــــةِ انْتِظَـــــارْ * وسُـــــكَّراً يَـــــذُوبْ**
يَـــا بَهْجَـــةَ الجَمِيـــعْ * بِأجْمَـــــلَ الصُّـــــوَرْ**

(١) مدخل إلى أدب الطفولة (أسسه، أهدافه، وسائطه): مرجع سابق، ص ٦٧.

[٤] النّشِيدُ التَّرْوِيحيُّ:

وهو لَوْنٌ من أَلْوَانِ الأناشيد ذَات الهدف التربوي، وهو معادلٌ موضوعيٌّ لأغَاني الألعاب الشعبية التي تُفجر الطاقات في الطفل، وهو لَون ترويحي يلازم الطفل غالباً في رحلاته، ومع أترابه، وفي عُطلاته.. وإن جاءت نماذجه قليلة لعزوف الكثير من أدباء الأدب العربي الحديث والمعاصر عن تأليف الأناشيد الترويحية.. استَمِع إلى مثل هذا النشيد الذي يقترب فيه كاتبه من أغاني الألعاب الشعبية وهو يقول(١):

اســـــــمع اســـــــمع * ضَـــــــرْبَ المـــــــدْفَعْ**
فـــــــي رَمضَـــــــان * بـــــــوُمْ بُـــــــومْ بُـــــــومْ**
بعـــــــد المغـــــــرب * نأكـــــــل نلعـــــــب**
نجـــــــري نلعـــــــب * بالفوانيـــــــس**
فـــــــي رَمضَـــــــان * بـــــــوُمْ بُـــــــومْ بُـــــــومْ**

وفي هذه الحوارية بين الطفل والكتاب نَلْمَسُ خِفةَ الظّلّ بإنطاق مَا لا يَنْطق .. يقول الشاعر محمد السنهوتي مُنَبهًا الطفل العربي إلى قيمة الكتاب في حياتنا، ومكانته الحقيقية في قلب الإنسان، وأهميته في نهضة الأمم، خاصة أمة (اقرأ) (٢):

الطّفـــلُ قَـــالَ: مَـــا الّـــذي
فَقَـــال: مُنْـــذُ جِئْـــتُ هُنَـــا
أَنْـــتَ قَـــد اشْـــتَرَيْتَنِي
نَسِـــيتَ أَنّـــي صَـــاحِبٌ

(١) ديوان السنهوتي للأطفال: جمع وتبويب وتقديم: د. أحمد زلط، ط١، الفارس العربي، الزقازيق ١٩٩٢م، ص ٢١.
(٢) المرجع السابق: ص ٦٩.

إنّـــي أَنَـــا النُّـــورُ الَّـــذي
اقْـــرأ فَكُـــلُّ نَهْضَـــةٍ
أَوْ فَبِعْنَـــــي لِلـــــذي
يُبْكِيـــكَ يَـــا كِتَـــابي
أَبْكـــي عَلَـــى شَـــبَابي
لِلسّـــــجْنِ وَالعَـــــذَابِ
مِـــنْ خِيـــرَةِ الصَّـــحَابِ
يَهْـــدِي إِلـــى الصَّـــوَابِ
فـــي صُـــحْبَةِ الكِتَّـــاب
يَجِـــدُّ فـــي طِلابـــي!!

[٥] النَّشِيدُ التَّعْلِيميُّ:

يُعَدُّ التعليمُ من خلال الأَناشيد المدرسية وفْقًا للمراحِل العُمْرية للتلاميذ هدفًا تَربويّاً تسعى المناهج المعاصرة لتحقيقه، لَمَا لَهُ من فوائد مَتَعَدِّدة كالحفاظ على اللُّغة نُطْقًا صَحيحًا، وَإِبَانةً مرجُوَّة، وكذلك تعلم مهارات القراءة والكتابة، والاستفادة من مضامين الأناشيد ومحتواها.

والنَّشِيدُ التعليمي لونٌ مُبَسَّطٌ من الشعر التعليمي، لكنه خَفيفُ الوَزْنِ، مُنَغَّم الألحان، يَميلُ إلى الحركة شأنه شأن سائر الأناشيد السابقة. ومثال ذلك نشيد الشاعر "يس الفيل " – من نشيده (في كل صباح) الذي يعرضُ من خلاله صورة الطفل النموذج/المثال، قائلاً[١]:

أَصْحُو مِنْ نَوْمِي يَـا أَبَتَـي * وَأَسِـيرُ أَسِـيرُ لِمَدرسَـتي**
في الصُّبْحِ وَأَبْـدَأ بِصَـلاَتي * فَـرْحَـانَـاً أَسْقُ خُطوَاتِي**
في كُلّ صَبَاحٍ يَا أَبَتِي

(١) أناشيد الأطفال: شعر يس الفيل، سابق.

أَنُتَبِــــهُ لِشَــــرْحِ الأُسْــــتَاذِ *** وَأُجِيبُ عَلَــى مَــا يَطرَحُــهُ
أَتَكَلَّـــمُ فيـــه بِإِيجـــاز *** وَأَقُـــولُ كَلاَمًـــا يُفْرِحُـــهُ
في كُلّ صَبَاحٍ يَا أَبَتِي
في المَعْمَل بَــيْنَ الأَضْــوَاءِ *** أَتَلَقَّـــى دَرْسَ الكيمْيَـــاءِ
مُنْتَبِهًـــا أَسْـــأَلُ بِـــذَكاءٍ *** لأُثِيـــرَ عُقُـــولَ الـــزُّمَلاء
في كُلّ صَبَاحٍ يَا أَبَتِي
بَالحِكمَةِ فِي قَلْــب المَلْعَــبْ *** أَتَفَــانَى لَــوْ يَومًــا أَلْعَــبْ
وَإِذا هُوجمْــتُ فَــلاَ أَهْــرَبْ *** مِنْ غَــيْري أ بدًا لا أَغْضَبْ

ولَعَلَّ من أشهر الأناشيد التعليمية وأُقدمها نشيد (التلميذ النجار) للرائد " محمد الهراوي" الذي أودعه في الجزء الأول من منظومته (سمير الأطفال للبنين) والتي كتبها عام ١٩٢٢م، وهو " الذي أتى بعد شوقي، وأولى شعر الأطفال الأهمية القصوى التي يستحقها، فقد تفرّغ له، منذ بدايات العشرينيات من القرن المنصرم، وقدّم عددًا من المؤلفات الشعرية، تتميّز بسهولة اللفظ، ويسر التعبير، وجمال الأداء وحلاوة الإيقاع، فكانت متناسقة مع أحلام الطفل وآماله واستعداده الفطري، وظروفه البيئية والعقدية، وليس أدلّ على نجاحه من حفظنا لمثل هذه المقطوعة، وترديدنا لها على الرغم من بُعد العهد بها، والتي يقول فيها(١):

أَنَــا فــي الصُّــبْح تِلميــذٌ *** وَبَعْــدَ الظُّهْــر نَجَّــارُ
فَلَــي قَلَــمٌ وَقِــرطَــاسٌ *** وَإِزْمِيــلٌ ومِنْشَــارُ
وَعِلْمِــي إِنْ يَكُــنْ شــرَفًا *** فَمَــا فــي صَــنْعَتِي عَــارُ
فَلِلْعلَــمَاءِ مــرتَــبةٌ *** وَلِلصُّــنَّاعِ مِقْــدَارُ

(١) في أدب الأطفال: د. علي الحديدي، ص ٣٧١، ص ٣٧٢، أدب الأطفال في ضوء الإسلام: د. نجيب الكيلاني، ط٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م، ص ٩٢.

وكأَنّي بهذا الشاعر الكبير، أحد الرواد القلائل، يخط للأَجيال الجديدة طريق النجاح الحقيقي، حيث العلم والمعرفة، وحيث العمل الحرفي المُشرف كما يقول الدكتور نجيب الكيلاني، فيدٌ تُمْسِك بالقلم تُعلّم، وأُخرى تبني.

وَمن الأناشيد التعليمية التي تتضَمَّن معلومةً، أَو قيمةً، أو مُناسبةً في حياة الطفل، يُمكن صياغتها بأُسْلُوبٍ فني من الأَناشيد الآنفة، مع الاحتفاظ بسمَات النشيد الخاصة، من مثل أنشودة "الهجرة النبوية" للشاعر علي عبد العظيم، التي يقول في مطلعها[1]:

يَـــا هِجـــرَةَ المُختَـــار * جَلَـــــوْتِ لِلأَبْصَـــــار**

بَدَائِـــــع الآثـــــار

مَثَّلْـــــت لِلأَذْهَـــــانِ * طَهَـــارَةَ الوجـــــدان**

وقُـــــوَّةَ الإيمـــــان * وَالحُـــــبَّ والإيثـــــار**

يـــــا هجرة المختـــار

وهنا تتضح غَايَةُ الأَغَاني المُصَاحِبَة للأَطفال في ألعابهم، أَو فَوائِدُها التي تنحصر فيما يأتي:

١) غَرسُ لعب الدَّور في الخيال (اللَّعب الخيالي) وَالواقعي عند الطفل.

٢) التنفيس عن انفعالات مكبوتة، وتنظيم طاقة الجسم والترويح عن الأطفال.

٣) تَحقيقُ اندماج الأطفال في الحياة من حولهم، واكتساب العلاقات السَّوية مع الأتراب.

٤) زيادَةُ النّمو اللُّغوي وَالجسمي والنفسي للطفل حين يُرَدِّد أُغنية اللعب (الفُصحى المكتوبة له)، أو بلغة الطفل في أحيان كثيرة، أو الموروثة جيلاً بعد جيل وهي كثيرة في الأدب الشعبي.

---

(١) مدخل إلى أدب الطفل: مرجع سابق، ص ٧١.

٥) مثل هذه الأغاني والأناشيد تُكسب الطفل كثيرًا من مفردات النمو العقلي والوجداني، للطفل، وتفتحه على مجتمعه المحيط به .

٦) تنمية قدرات الطفل على التخيّل والتركيز، والاصغاء لكل ما حوله .

٧) يساهم مثل هذا الإبداع في تنمية روح الإبداع، والتعبير الجميل لدى الطفل .

٨) تزود الطفل بمنوعات أدبية لتجارب مختلفة، تساعده على فهم الحياة من حوله، والتعرف على أنماطها الاجتماعية .

٩) تُعد مثل هذه الأناشيد وتلك الأغاني الهادفة دُعامة رئيسة وأساسية في نماء الطفل سيكلوجيًا، وتعديل سلوكه، لاسيما سلوكه المعرفي والوجداني والاجتماعي .

١٠)يكفي هذا الإبداع أن يُعرّف الطفل على الآخرين؛ من المبدعين، والشعراء، وكتاب التاريخ، والعلماء المصلحين، وقضايا أمته الإسلامية .

الخَصَائصُ الفَنيةُ لأَدَب الأَطفال..
وأسس اختيار النصوص التي تُقدم لهم

لقد أَصبحت الطفولة اليوم مهمةً في ذاتها ولِذَاتِها، فهي أَهم مرحلة في بناء الشخصية، والطفل هو أَملُ العالم ورجلُ المستقبل، وكُلُّ خبرة تَمُر به في الطفولة تؤثر تأثيراً كبيراً. وأدب الأطفال من أهم خبرات هذه المرحلة لذا كان الاهتمام بكل ما يقدم للطفل من أدب خاصَّةً وهذا الجنس الأدبي – أدب الأطفال – أقوى سبيل يُعرف الأطفال، بالحياة بأبعادها الماضية والحاضرة والمستقبلية. وإبداعُ بهذا التنوع المعرفي لابد من خَصَائص فنية، وكذلك لابد من أسس اختيار المناسب منه ليقدم لأطفالنا وهو ما نتوقف أمامه في السطور التالية..

أَولاً: خَصَائصُ أَدَب الأَطفال:

لقد قال الكاتب الكبير (س. س. لويس): "رغبتُ في الكتابة يومًا فكتبتُ قصَّةً للأطفال، ذلك لأَنيّ وجدتُ أَنَّ قصةً للأطفال هي أفضلُ صيغةٍ نفسيّة لما أُريدُ أَن أَقُولَ أو أُعَبِّرَ عنه". والكاتب لويس كما كتب للصغار وكتب للكبار وكان في كل مبدعاً.

إذن فالكاتب القدير حين يكتب للأطفال لا يكتب بطريقة مختلفة، أو باهتمام أَقَلّ لمجرد أنه يكتب للأطفال، أو لمجرد التفكير في أَنَّهم لن يكونوا على إدراك كامل بالأسلوب أَو بأَسرار اللُّغة.

إن الكتابة الجيدة في أَيّ موضوع يمكن أَنْ يُنْتِجَ تجاربَ فنيةً جماليةً. واللُّغة التي تُستخدم استخداماً فنياً تجمع بين الاستجابات العاطفية والثقافية، وتجعلُ القارئَ يدركُ الشخصيات والصراع، ويعي العناصر الأساسيةَ في مُحيط العمل الأدبي. ويَفْهَمُ المعضلات الإنسانية، فيمر بتجربة الاستمتاع بالجمال، ويُحِسُّ بشعور البهجة والدهشة، أو يُجرب الأَسى ويُدرِكُ شعور

الظلم. وتبعًا لذلك يتعرف القارئُ على مكان غير مكانه، وعصر غير عصره، ويُمكن بواسطة اللغة أَن تتحقق ذاتهُ ويتعرَّفَ على نفسيته من خلال معرفته الآخرين.

- وَالشَّيءُ الذي ينفردُ به أَدَبُ الأَطفال هو "الجمهور".
- وعلينا في مضمون أَدَب الأَطفال أَنْ نَضَع تجارب الطفل وخبراته في لُحمته .
- كما علينا في مضمون هذا النوع من الأَدَب أن نعرِضَ المشكلات الرئيسة في حياة الإنسان بطريقة خاصة، بدون تفصيلات مُفزعةٍ بشعة...
- وأَوْلى بالطفل أن يكتشفَ هذه المشكلاتِ بالطريقةِ الخاصة في أَدَبِه قبل أن يتجه إلى أَدَب الكبار.

ومن الخَطأ أَنْ يتَخيل أحد أنَّ مَادةَ الأطفال منفصلةٌ عن أَدب الكبار، أَوْ أَنَّها نشأت منعزلةً عن التيّار الأدبي العام، أَوْ أنها تقومُ بمقاييس تختلف عن مقاييس أدب الكبار، سواء كان الكاتب مَعْنيًّا بالمشكلات الاجتماعية أو المغامرات، أَو المعلومات، أو العواطف الوطنية أَو الدينية أَو غيرها، فمن الممكن أَن نُطبّق على ما يُكتب نَفْسَ الأُسس والمقاييس العامة للحكم على مادة النتاج الأدبي.

خلاصة القول:

إنّ الأَدب في ماهيته ورسالته ينطبق على أَيّ أَدَبٍ كان، مهما كانت الجهة التي يوجه إليها، والنَّصُّ الأَدبي لاَ يتسامح في شروطه الفنية، ويستطيع المتلقي أن يدركَ مَا يتمتع به النصُّ الأَدبيُّ من جمالٍ مهما كان المستوى الذي يُخاطبه. والتمييز بين أدب الكبار وأدب الصغار لا ينبع من تفاوتٍ في المستوى الفني، ولكن ينبعُ من تفاوت في المستويين: اللغوي، والأسلوبي، وكيفية التعبير عن القضايا الحياتية.

إن الأَعمال الأَدبيةَ تتفاوت من حيث مستوياتها الفكرية، ويتوقف التذوق لهذه الأَعمال على استعدادات خَاصة لدى المتذوقين، استعداداتٍ ترجع للخلفيات الثقافية والخبرات الحياتية. ولمّا كان الأطفالُ أَقَلَّ كفاءة عمومًا في مستوى القدرة العقلية على التذوق، وكذلك في مستوى الخبرات، **فإن من الواجب على الكُتّاب أنْ يَأْخذُوا بعين الاعتبار الأمور التالية حينما يكتبون أو يختارون للأطفال من أدب:**

[١] أن يتمتع أَدَبُ الأَطفالِ بخصائصَ لغويةٍ تنأى عن التعقيد، أو الأساليب الطويلة الملتوية.

[٢] أن يشتمِلَ أَدَبُ الأَطفالِ على خَصائِصَ فكريةٍ تَقُوم معظمها على الخيال العلمي.

[٣] أَن يَبْتَعِد أَدَبُ الأَطفالِ قَدر الإمكان عن التجريد، ويلجأ للمحسوس.

[٤] أَن يتَمتَّعَ النَّصُ الأَدَبيُ الطُّفُولِيُّ بالكفاءَةِ الفنيَّة المتمثلة في جمال الأسلوب وَسُمُوِ الفكرة، فكون الأدب مُوجهًا للصّغار لا يحول دُون الالتزام بقواعد الكتابة الفنية، وكثيراً ما نجد أَعمالاً أَدبيةً وُضِعَتَ للصّغار أَصْلاً يُقبِل عليها الكبار بشوق وشغف.

[٥] أَن نُقَدّم للأَطفال جَمِيعَ أَنواعِ الأَدَب ونُعَبِر لَهُمْ عن خبراتِ الحياة بأسلوبٍ جَيّد ولُغَةٍ مناسبةٍ لعُمرهم الزمَنيّ ومستوى إدراكهم.

[٦] وأَنْ نُقَّدِمَ للأطفال مَا يتناسب مع أعمارهم ونموهم الإدراكي، وكذلك ما يربطهم بمجتمعاتهم وعصرهم، وَما يُنَميّ ثروته اللغوية، ويُزوّدُه بالقيم الخلقية الفاضلة.

وما سبق يُعد من الأُسس الضرورية التي لابد أَنْ نَعيها جيدًا ونحن نختار النص المناسب لأَدب الأطفال، ولا يمكن أن نَغْفَلَ هذين الشرطين الرئيسيين:

(أ) أن يُنَاسِب النص في مضمونه مستوى الأطفال ويتَّفق مع خَصَائِصهم وِفْق مرحلة النمو التي يُوجه إليها هذا المضمون.

(ب) أن يصل النَّصُّ إلى تحقيق أهدافه طبقاً لمعايير أَدَب الأطفال السليم، وبأسلوب غير مباشر، يستهوي الأطفال.

وخير ختام ..

﴿ ... رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ البقرة: من الآية (٢٨٦)، وآخر دعوانا ﴿ ...أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يونس: من الآية (١٠) .

قائمة المحتويات

م	الموضوع
١	ملخص البحث
٢	تقديم
٣	المبحث الأول: مدخل إلى أدب الطفل العربي
٤	المبحث الثاني: أدب الطفل وأهميته للطفل والمجتمع
٥	المبحث الثالث: مقاربات حول فُنونُ أَدَب الطفلِ
٦	الخَصَائصُ الفَنيةُ لأَدَب الأَطفال.. وأُسس اختيار النصوص التي تُقدم لهم
٧	قائمة المحتويات